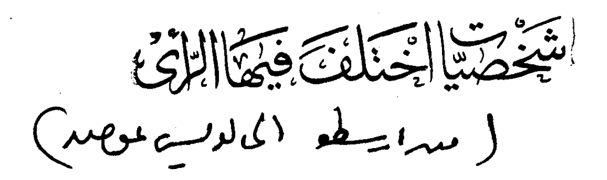
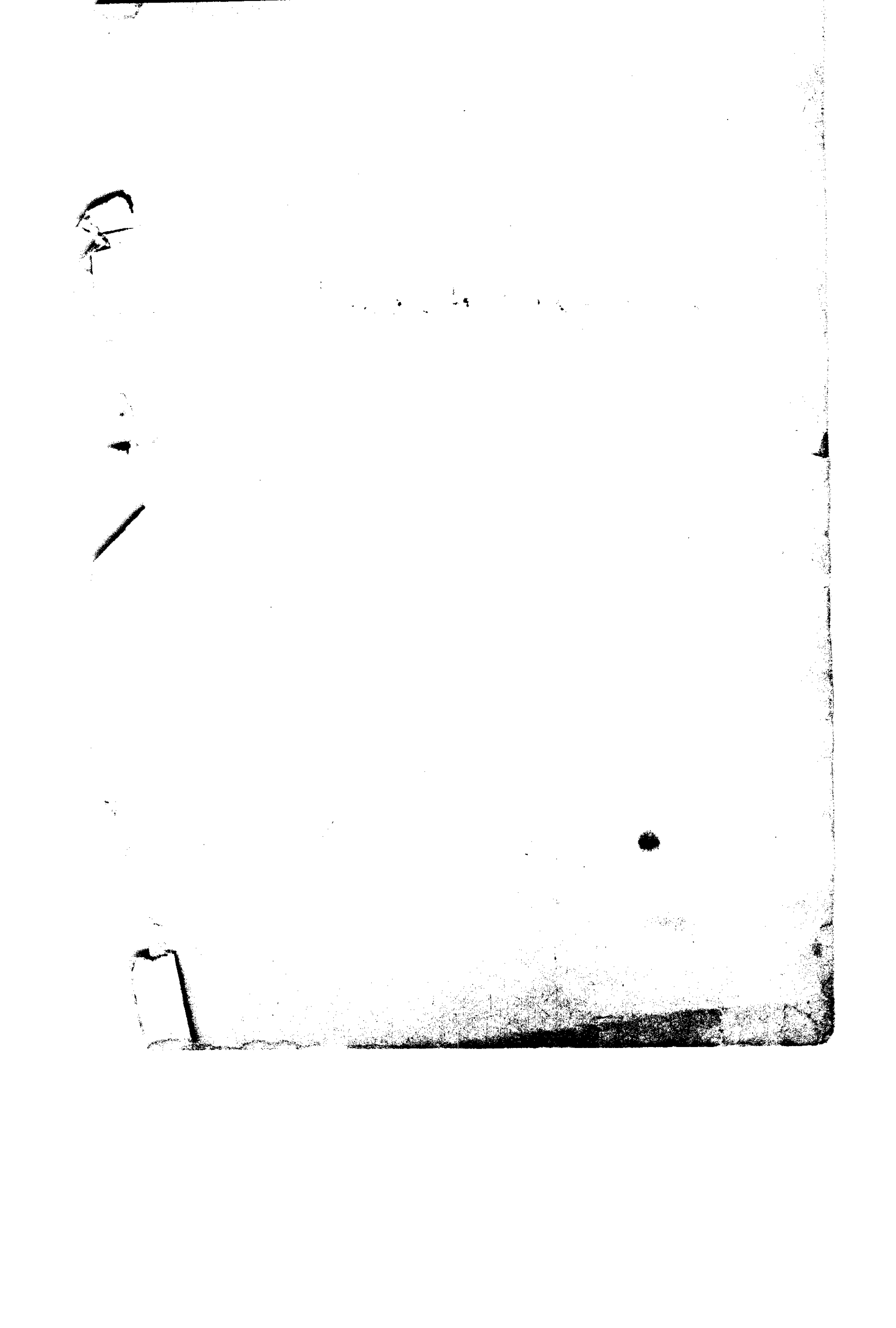


بقلم

أنور الجندي

توزيع
دار الأنصار
٨١ ش البستان ناصية شارع الجمهورية
عابدين - ت ٩٣١٥٨١



لطفى السيد

وأكذوبة أستاذ الجيل

تخلفت لنا الفترة السابقة مسلمات خطيرة وكلمات دخيلة وحاولت حرب كثيرة من حرب الغزو الفكرى والتغريب أن ترسم صورة خادعة لبعض الشخصيات وكان أخطر ما أطلق فى هذه الفترة كلمة عميد الأدب على الدكتور طه حسين وأستاذ الجيل لطفى السيد فإلى أى مدى كان هذا اللقب صحيحاً بالنسبة لمنشئ حزب الأمة ومترجم أرسطو والخصم الخصيم للعروبة والوحدة الإسلامية جميعاً .

وفى الحق إن اسم لطفى السيد لمع لمعاناً شديداً وخدع به كثيرون وكان لامتداد العمر وتغير الأوضاع واقتناص بعض الفرص التى جاءت بها الظروف عاملان من عوامل القداسة التى متعت بها مثل هذه الشخصيات بالرغم من فساد جوهرها .

وليس علينا أن نصدر حكما جازما على شخصية ما يسلم به الجميع

ولكن علينا أن نلقي الأضواء الكاشفة على مثل هذه الشخصية من واقع التاريخ وبالوثائق الثابتة ثم ندع القارىء ليحكم هو : هل كان لطفي السيد حقيقة استاذ الجيل وأي جيل .

أولا : الدعوة إلى قصر التعليم على أبناء الأعيان بإعتبار أنهم وحدهم الذين سيتولون الحكم ومقاومة تعليم سواء الأمة ومعارضة الإتجاه إلى المجانية وذلك حتى يمكن المحافظة على وجود طبقة معينة تتولى حكم البلاد دون أن يتاح ذلك لباقي أفراد الشعب .

وقد رد عليه مصطفى كامل صاحب اللواء ورئيس الحزب الوطني ولخص آراءه وكشف عن فسادها .

ثانياً : الدعوة إلى العامية : وقد سار في هذا التيار وبدأ الخطوات التي كان قد قطعها المستشرقون والمبشرون (مولار وويلكوكس) وكان أبرز مادعا إليه إبطال الشكل وتغييره بالحروف اللينة وتسكين أواخر الكلمات وإحياء الكلمات العاميه المتداولة وإدخالها في صلب اللغة الفصحى والنزول باللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب العامي وكانت وجهة دعوته تمصير العربية بإحياء العامية (مقالاته في الجريدة خلال شهري أبريل ومايو ١٩١٢ وقد رد عليه عبد الرحمن البرقوقي مصطفى صادق الرافعي بما يكشف زيف هذا الاتجاه .

ثالثاً : مقاومة التضامن العربي الإسلامي وقد عارض مساعدة المصريين لجيرانهم في طرابلس الغرب أثناء الغزو الإيطالي الاستعماري عام ١٩١١ وكتب في هذا المعنى تحت عنوان (سياسة المنافع لا سياسة العواطف) مقالات متعددة دعا فيها المصريين إلى التزام الحياد المطلق في هذه الحرب الإيطالية التركية وإلى الضن بأموالهم أن تبعثر في سبيل أمر لا يفيد بلادهم وقد أثارت هذه المقالات على لطفي السيد عاصفة بل وطنا جارحا على حد تعبير تلميذه الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته .

رابعا : أيد وجهة النظر البريطانية الاستعمارية في التعاون مع الجاليات المسيطرة المحتلة ودعا إلى أن تملك هذه الجاليات في الأراضي المصرية فيكون لها الحق في التملك والسيطرة على البنوك والتجارة وغيرها .

خامسا : مجد اللورد كرومر : الحاكم البريطاني الذي أذل المصريين لمدة ربع قرن مسيطراً على سياسة البلاد وساحقا لكرامتها ومغتصبا لثروتها وحياتها يوم خروجه من البلاد تحية الأبطال وقال عنه :

« أمامنا الآن رجل من أعظم عظماء الرجال ويندر أن نجد في تاريخ عصرنا نداً له يضارعه في عظائم الأعمال : هو اللورد كرومر وقال : لو بقي اللورد كرومر عاما واحدا في منصبه لأعيد عهده الذهبي في خدمة دولته » نشر هذا في الجريدة في نفس اليوم الذي ألقى فيه كرومر

خطاب الوداع فسب المصريين جميعا وقال لهم أن الاحتلال البريطانى باق إلى الأبد .

سادسا : رسم لطفى السيد خلال عمله فى الجريدة (١٩٠٨ — ١٩١٤) منهجا للحياة الاجتماعية والسياسية والتربوية والاقتصادية يقوم على التبعية العامة للنفوذ الأجنبى والاحتلال البريطانى والفكر الغربى تحت اسم عبارة ماكرة خادعة هى (مصر للمصريين) وقاوم بهذا الفكر ذلك الاتجاه الأصيل الذى كان يحمل لواءه دعاة الوطنية الصادقة والفكر الإسلامى النير وكون مدرسة تحقق لها بعد الحرب العالمية الأولى السيطرة على مقدرات الأمور بعد أن أقصى رجال الوطنية الحقة .

سابعا : تبين أن مترجمات لطفى السيد عن أرسطو (التى ترجمت من الفرنسية) (السياسة . الكون والفساد . الأخلاق) وهى منسوبة إليه ، تبين أنه ليس مترجمها وأن مترجمها الحقيقى هو قسم الترجمة فى دار الكتب المصرية وذلك بشهادة عديد من معاصرى هذه الفترة .

(الأستاذ أحمد عابدين مدير دار الكتب السابق لا يزال حيا يرزق)

ثامنا : بالرغم من دعوة لطفى السيد العريضة إلى الدستور والحرية فإن الوزارات التى قبل الاشتراك فيها كانت كلها تتسم بطابع واحد فهى جميعا وزارات انقلاب ضد الدستور والبرلمان والحريات العامة .

يقول الأستاذ فاروق عبد القادر : أن الباحث فى حياة لطفى السيد ليس بوسعه أن يتجاهل هذا التناقض كيف للرجل الذى كتب مطالبا بالدستور مدافعا عن الحرية أن يشترك فى وزارات عبثت بالدستور وصادرت الحرية . كيف يشترك فى وزارات طابعها الإرهاب والسطو على الحريات .

تاسعا : إن حزب الأمة الذى أنشأه لطفى السيد كان بإجماع الآراء صناعة بريطانية أراد بها اللورد كرومر أن يواجه الحركة الوطنية بمجموع من الإقطاعيين والثراة والأعيان (الذين وصفهم بأنهم) أصحاب المصالح الحقيقية ولقد كان هدف حزب الأمة والجريدة بقيادة الفيلسوف الأكبر لطفى السيد تقنين الاستعمار والعمل على شرعية الاحتلال والدعوة إلى المهادنة مع الغاصب وتقبل كل ما يسمح به دون مطالبته بشىء .

هذه مجموعة من الخطوط العامة نضعها بين يدى القارىء العربى المثقف دون أن نقدم حكما على لطفى السيد وندعه هو ان يصدر هذا الحكم . ولقد تعددت المصادر والأبحاث التى تكشف حقيقة هذا الرجل فليرجع إليها من يشاء وكلها تجمع على أن هذه الدعوة التى حملها لطفى السيد إنما هى خطة دقيقة محكمة من خطط الاستعمار الغربى والنفوذ الأجنبى ، فإن اللورد كرومر اراد فى إطار عمل مرسوم أن ينشىء فى مصر جيلا جديدا يسير فى ركب الاستعمار معجبا به مقدرا له ومحبا ولذلك عمل خلال عشرين سنة أو يزيد على صياغة هذا الجيل عن طريق المدرسة وعن طريق الثقافة وكانت دعوته الملحة الحارة أن بريطانيا ستسلم مصر لأبنائها متى ظهر هذا الجيل الذى يحمل

بالتعاون مع الاستعمار ولفت نظر الشباب المتعلم وهم جميعا من أبناء الطبقة التى أنشأها النفوذ الاستعمارى وسودها وجعلها مركز القيادة السياسية إلى أنهم هم حكام مصر فى المستقبل القريب .. وكان حريصا على أن تتشكل هذه القوة أو هذا الحزب فى نفس الوقت الذى كان الاحتلال يضرب القوى الوطنية وأصحاب الأصالة ليقضى عليهم ويفرغ البلاد منهم ويحلها لهذا الجيل الذى كان من قيادته : لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى وقد تشكل حزب الأمة من مجموعة من أصحاب النفوذ وكبار الباشوات والملاك مثال محمود سليمان وحسن عبد الرازق وحمد الباسل وعلى عبد النور وسليمان أباظة وعبدالرحيم الدمرداش والطرزى وغيرهم وكان رأى هؤلاء أن السلطة الفعلية قد آلت كلها إلى كرومر الذى يمثل سلطة الاحتلال وأن مصالحهم الشخصية تقضى عليهم أن يكونوا على وفاق معهم فأقاموا حزبهم بصفة رسمية فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ برئاسة محمود سليمان باشا وتولى لطفى السيد قيادة فكرهم وصحيفتهم التى جمعوا لها فى ذلك الوقت مبلغ ٣٠ ألف جنيه : وقد ظهرت الجريدة فى ٩ مارس ١٩٠٧ تصور الاحتلال على أنه حقيقة واقعة وترى أن عدم الاعتراف بشرعيته لا تعنى عدم وجوده ولا يقلل من سلطته أو نفوذه وكانت ترى أن هؤلاء المحتلين ماضون فى طريقهم مستقلون بتصريف الأمور رضى المصريون بذلك أم كرهوا وأن التخلص من الاحتلال يحتاج إلى قوة لم تتوفر للمصريين وأن دعاة الحركة الوطنية خياليون ينفقون الوقت فيما لا طائل تحته وأنهم أصحاب خيال وتهيج .

وبذلك إستطاع لطفى السيد أن يرمى مفاهيم الاقليمية المصرية الضيقة التى تنكره العرب وتنكره المسلمين وتعارض كل تقارب وكل صلة بل وتنكره الاتصال بالفكر الاسلامى الذى هو أساس الثقافة والتعليم. وقد صور هذا المعنى مستشرق غربى هو ألبرت حورانى حين قال عن لطفى السيد ما يلى : كان يرى أن بريطانيا قوية وأن لها مصالح جوهرية فى مصر وأنها هى نفسها قد أعلنت عن بقائها فى مصر إلى أن تصبح هذه قادرة على حماية المصالح وإذن لا يمكن إخراجها بالقوة .

وقد أعلنت بريطانيا تجديد احتلالها وخلقت الشعور بأنها باقية إلى الأبد وأن مصلحة مصر تقضى التعاون معها فى أى تدبير تتخذه فى سبيل إنماء قوة البلاد وهكذا كان ينفث لطفى السيد سموم التثبيط والدعة فى وجه دعاة الوطنية ولا يقف عند هذا الحد بل يتهمهم بأنهم خياليون مغالون فى الخيال ويتهم خطتهم بأنها ولاء لتركيا بينما لم يكن مصطفى كامل ومحمد فريد إلا دعاة إلى الحرية والاستقلال والجلاء دون أن يلينوا أى لين لتقبل وعود بريطانيا وكانوا فى دعوتهم لا يستهدفون العودة إلى النفوذ التركى العثمانى وإنما كانوا يؤمنون أن حركة الحرية يجب أن تتم داخل إطار أوسع من الإقليمية ويجب أن تكون فى إطار الجامعة الإسلامية والمفاهيم الإسلامية الأصلية التى كانت بريطانيا عن طريق حزب الأمة تهدف إلى تجريد المصريين منها ودفعهم إلى التبعية فى التشريع والتعليم والاقتصاد لتكون مصر خاضعة تمام الخضوع للقانون الوضعى وللمفاهيم الغرب فى التعليم والثقافة ولتنقطع الصلة تماما بين مصر وبين جيرانها عربا ومسلمين وبين الفكر والثقافة فى مصر

وبين الفكر الإسلامى الأصيل المستمد من القرآن والسنة .

ولقد كان لطفى السيد فى دعوته هذه ينتقض أهمية الأرضية الإسلامية للفكر والثقافة والتعليم ويغالى فى التبعية للفكر الليبرالى الغربى الذى كان فى هذه الفترة خصيصاً الدين والأخلاق .

* * *

يقول ألبرت حورانى : « إن الانطباع القوى الذى تتركه قراءة مقالات لطفى السيد التى نشرها فى الجريدة (وهى كل ثروته الفكرية) هو الاندهاش من الدور الصغير الذى لعبه الاسلام فى تفكير رجل تتلمذ على (محمد عبده) لا شك أنه كان يشعر بأنه هو ومعظم مواطنيه مسلمون بالوراثة ، وأنهم جزء من الأمة ، لكن الإسلام لم يكن المبدأ المسيطر على تفكيره فلم يهتم بالدفاع عن الإسلام كالأفغانى ، ولا يهتم كمحمد عبده بإعادة الشريعة الاسلامية إلى مركزها كأساس خلق للمجتمع . وفى هذا يقول لست ممن يتشبثون بوجوب تعليم دين بعينه أو قاعدة أخلاقية بعينها ، ولكنى أقول بأن التعليم تاماً يجب أن يكون له مبدأ من المبادىء تتمشى عليه المتعلم من صغره إلى كبره هذا المبدأ هو مبدأ الخير والشر .

وهكذا نرى أن مفهومه للأخلاق والدين مستمد من الفكر الغربى ويعلق حورانى فيقول : وهكذا نرى أنه تخلى عن أول مبدأ من مبادىء

محمد عبده واستعاض عنه بمبادىء جديدة . ويقول : لقد أخذ يطرح أسئلة جديدة لا تدور حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار المجتمع الإسلامى أو انحلاله ، بقدر ما تدور حول الشروط التى تؤدى إلى ازدهار أى مجتمع أو انحلاله ، كذلك لم تكن المفاهيم التى أجاب بها على هذه الأسئلة هى مفاهيم الفكر الاسلامى، بل مفاهيم الفكر الأوربى حول التقدم والمجتمع الأفضل .

ويقرر حورانى أن لطفى السيد ورفاقه تأثروا بنمطين من التفكير الأوربى :

أولا : تفكير كونت ، ورينان ، وبل ،وسبنسر ،ودوركايم الذين ذهبوا إلى أن المجتمع البشرى متجه بحكم سنة التقدم نحو طور مثالى يتميز بسيطرة العقل واتساع أفق الحرية الفردية وحلول التعاقد الحر والمصلحة الفردية على العادات والأوضاع الراهنة .

ثانياً : تفكير جوستاف لوبون الذى يقول بفكرة الطابع القومى ، وأن كل شعب له بنية ذهنية ثابتة ثبوت بنيته الجسدية .

ويقول الحورانى :

إن لطفى السيد حدد فكرة الأمة على أساس الأرض ، لا على أساس اللغة والدين ، وهو لم يفكر بأمة إسلامية أو عربية بل بأمة مصرية : أمة القاطنين أرض مصر ، وكان شعوره بوجود مصر شديداً بحيث أهمل الأحرار على عناصر الوحدة الأخرى . فمعظم القاطنين فى مصر يشتركون فى الأصل واللغة والدين .

سعد زغلول

دعوة صريحة إلى الكتاب المؤرخين :

انشروا مذكرات سعد زغلول المخطوطة لتكشفوا حقيقة هذه الشخصية الخادعة ولتضعوه فى مكانه الصحيح من تاريخ مصر .

إن الحقائق تكشف عن دور سعد زغلول فى :

أولا — تجميد اللغة العربية وإتاحة الفرصة للغة الانجليزية بوزارة المعارف .

ثانياً — بعث قانون كرومر للمطبوعات لمحاكمة الصحفيين والكتاب الوطنيين .

ثالثاً — التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر الاسلامية .

سعد زغلول

كان من أهم الأسئلة فى ندوة الاعتصام ما قدمه عدد من الشباب استفساراً عن صحة ما نشر عن تاريخ سعد زغلول من فصول فى إحدى الصحف اليومية ومدى تطابق هذا مع واقع التاريخ ومن خلال نظرة إسلامية صحيحة .

ولا ريب أن شخصية سعد زغلول هى واحدة من أكثر شخصيات العمل الوطنى فى مصر بعد الحرب العالمية الأولى . ولكنه لا يمكن دراستها ، ألا بفهم الاطار السياسى الذى بدأ منذ أن احتلت بريطانيا مصر وواجهت الحركة الوطنية التى قاومت النفوذ الأجنبى بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد وعدد من المجاهدين الذين عملت القوة البريطانية على تصفيتهم وإقصائهم وتقديم جيل جديد من أصحاب الولاء للنفوذ البريطانى وفى مقدمة هؤلاء أحمد لطفى السيد وسعد زغلول وعبد العزيز فهمى .

هذه المرحلة السابقة لظهور هيئة الوفد المصرى التى قادها سعد زغلول لها أهميتها فى الكشف عن الدور الذى قام به سعد زغلول فى معارضة الحركة الوطنية وكبح جماحها ، وتقديم رجالها للمحاكمة كما حصل فى محاكمة محمد فريد وهو وزير الحقانية ، وكذلك دوره فى تمهيد

اللغة العربية وهو وزير المعارف وإتاحة الفرصة للغة الانجليزية ، وكذلك دوره فى إعادة بعث قانون المطبوعات القديم الذى كان كرومر قد أجازه ثم أوقفه وذلك لمحاكمة الكتاب والصحفيين الوطنيين بأقسى العقوبات ، هذه الصفحة لسعد زغلول يجب أن تدرس قبل أن يقدم على المسرح كزعيم وطنى بعد الحرب العالمية الأولى .

ولقد اختلفت حول سعد زغلول كتابات المؤرخين والباحثين ، فوضعه كتاب الوفد وأصحاب الولاء لحزبه موضع القداسة (وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ العقاد) وكشف عن حقيقته مؤرخو الحزب الوطنى (وفى مقدمة هؤلاء الأستاذ عبد الرحمن الرافعى) وجاءت كتابات كثيرة بعد ذلك تتضح سعد زغلول فى حجمه الصحيح ، وكان فى مقدمة ذلك تلك الدعوة الصريحة الموجهة إلى المؤرخين والكتاب والباحثين أن ينشروا مذكرات سعد زغلول التى كتبها بخط يده فإنها هى وحدها القادرة على أن تقدم للناس بغير ولاء ولا خصومة حقائق هذه الشخصية ودورها وعملها وحقيقتها من خلال كتابات صاحب المذكرات نفسه ، تلك التى كتبها بكل حريته وإرادته خلال فترة تزيد على ثلاثين عاماً من أكتوبر ١٨٩٧ إلى ١٩٢٦ ، وتضم مراحل عضوية الجمعية التشريعية وتوليه الوزارة وفترة المنفى وفترة رئاسة الوزارة وتضم ثلاثاً وخمسين كراسة فقد كان يسجل الأحداث يوما بعد يوم عقب وقوعها مباشرة .

تكشف هذه المذكرات عن أشياء كثيرة :

أولا : علاقة سعد بالانجليز :

يقول عن اللورد كرومر : « كان يجلس معى الساعة والساعتين ويحدثنى فى مسائل شتى كى أتنور منها فى حياتى السياسية (مذكرات سعد زغلول كراس ٢٨ ص ١٥١٦) والمعروف أن كرومر فى تقاريره السنوية كان حريصا على أن يذكر أنه يعد جيلا جديداً من الشباب المصرى المتفرنج الذى يعجب بالغرب ويحرص على التفاهم مع الاستعمار البريطانى وقبول العمل معهم .

ومن هنا كانت صلة كرومر بسعد زغلول عن طريق صهره (مصطفى فهمى) الذى كان أول رئيس وزراء بعد الاحتلال ، والذى قضى فى الحكم ثلاثة عشر عاما ، وكان أثير الانجليز محبوباً عندهم ، وقد أصهر إليه سعد زغلول فأعد نفسه ليكون أول وزير مصرى . ولعل من الحقائق العجيبة أن اللورد كرومر عام ١٩٠٧ أعلن أنه يترك مصر مستريحاً ، لأنه أقام فعلا القاعدة الأساسية لاستدامة الاحتلال ، وكان فى هذا العام قد ألف حزب الأمة ، وأصبح لطفى السيد هو حامل لواء (الجريدة) وسعد ناظر المعارف ، وقد سخر كرومر فى خطبة الوداع الذى أقامها له رجال حزب الأمة من أولياء النفوذ الأجنبى من المصريين جميعاً ، ولم يمدح فى خطابه إلا رجلاً واحداً : هو سعد زغلول .

ومن هنا نجد سعد زغلول يكتب فى مذكراته أثر استعفاء كرومر

من منصبه فى ١١ / ٤ / ١٩٠٧ وكان يجلس فى منزله مع كل من حسن باشا عاصم ومحمود باشا شكرى عندما تلقوا خبر الاستعفاء فقال : أما أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها (كراس ٦ ص ٢٤٠) . وكتب فى موضع آخر يقول : (قد امتلأت رأسى أوهاما وقلبى خفقاناً وصدرى ضيقاً) (كراس ٦/٢٤٦) .

ويقول لورد كرومر فى تقريره السنوى عن تعيين سعد زغلول ناظراً للمعارف « لم يكن السبب الرئيسى فى تعيينه كما يظن أحياناً أنه استقياء من الحالة التى كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية فلا زالت قاصرة فى أن توفر أية بادرة لتغير جذرى فى السياسة التعليمية، أنه يرجع أساساً إلى الرغبة فى ضم رجل قادر ومصرى مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالاصلاح فى مصر » .

وقال كرومر : « كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أطلق عليهم (جيروند) الحركة الوطنية المصرية ، والذى كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لادخال الحضارة الغربية إلى مصر » الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد فى قيام الوطنية المصرية .

وكان سعد فى مقدمة الداعين لاقامة حفل لتوديع اللورد كرومر وكتب فى مذكراته يعلن ضيقه بالذين انتقدوا كرومر عقب استعفائه

وقال : إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها (كراس ٢٤٥/٦) وأشار إلى علاقة غورست خليفة كرومر به وأنه لما زاره قام فأوصله إلى باب حديقة دار الوكالة البريطانية .

ثانيا : أخلاقيات سعد

وتكشف المذكرات أخلاقيات سعد ومواقفه المتعددة من الحياة الاجتماعية : وأبرز هذه الجوانب علاقته بالقمار وقد كتب فيها طويلا فقال فى (كراس ٢٦ -- ص ١٣٩٠) « كنت أتردد بعد عودتى من أوربا على الكلوب (أى نادى محمد على) فملت إلى لعب الورق ، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض فانى لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسى من التردد على النادى ومن اللعب وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبلغا طائلا .

وقد بدأ ذلك حوالى ١٩٠١ فقد كتب فى أبريل ١٩١٣ يقول : كنت قبل ١٢ سنة أكره القمار واحتقر المقامرين وأرى أن اللهو من سفه الأحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نفسى لعبت وتهورت فى اللعب وأتى على زمان لم أشتغل إلا به ولم أفتكر إلا فيه ولم أعمل إلا له ولم أعاشر إلا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالا وثروة (مذكرات سعد كراس ١٢٩/٣) .

وكتب خلال زيارته لأوربا صيف ١٩٠٨ (أفطر مع الست والباشا (أى مصطفى فهمى) وحسين (ابن محمود صدقى) فى الساعة تسعة وبعد

أن نتمشى مع لبابنا قليلا نعود إلى البيت لنلعب البوكر مع السعد وحسين إلى الساعة ثمانية ونتمشى قليلا ثم نعود لنلعب البوكر إلى الساعة ١١ مساء وقد انفعل أثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان معاكس وكان زهر حسين سعيد ولكن مع ذلك كسبت ولم اخسر غير أن خسارتى كانت من طريقين : طريق وطريق السعد (كراس ٢٤ ص ١٣٠٠ — ١٣٠١) .

ويتساءل سعد عن الأسباب التي دفعته إلى المقامرة فيكتب ما يلى :

أريد أن أعرف ما أريد حتى أتمكن من معالجة نفسى من هذا الداء ، هل أريد بسطة فى الرزق ، أنه يقبضه فى الكثير الغالب ، هل أريد سعة فى الجاه ، أنه يضيقه بما يحط من القدر فى نفوس الناس ، هل أريد تناسى آلام تتردد على النفس عند خلوها من الشغل وهو كثير ، لا أشعر بهذه الآلام ، ويقول : ما كنت أصغى لنصائح زوجتى ولا أرق لتألمها من حالى ولا ارعوى عن نفسى ، وأشار إلى توباته المتعددة ، وعودته عنها فيقول : وقد يخيل لى أن كتابة هذه الخواطر وتسجيل هذه الواردات مما يساعد على الاستمرار فى ارتكاب هذا الإثم ، كأن النفس تجد فى هذه الاعترافات المكتوبة والاشمئزازات المرسومة ، فضيلة تكفيها عن الاتصاف بها وعن الإقلاع عن نفس الرذيلة أو أن الاعتراف كفارة عن الذنب المقترف والجريمة المرتكبة ترجيحا .

ويقول : إنى أوصى كل من يعيش بعدى ممن يهمهم شأنى فى شأنى

أني إذا مت من غير أن أترك اللعب أن لا يحتفلوا بجنازتي ولا يحدوا علي ولا يجلسوا لقبول تعزية ولا يدفنوني بين أهلي وأقاربي وأصهاري ، بل بعيدا عنهم وأن ينشروا على الناس ما كتبته في اللعب حتى يروا حالة من تمكنت في نفسه هذه الرذيلة وبئست العاقبة . الكراسة ٢٨ ص ١٥٧١) :

وتفيض مذكرات سعد زغلول بالتفاصيل المسهبة التي تبين مدى سيطرة هذه الغواية عليه ومحاولة الإقلاع عنها والتخلص منها وعودته إليها المرة بعد المرة فقد وردت تفاصيل ضافية في الكراسات ٢ و ٢٨ و٢٩ و ٣٠ في اثني عشر موضعا من هذه الكراسات .

وقد أشارت المذكرات بوضوح إلى أثر القمار في حياة سعد وخاصة حياته الاقتصادية كما يشير إلى ذلك الدكتور (عبد الخالق لاشين) فقد وقع سعد الذي يقتني الضياع الواسعة تحت طائلة ديون كثيرة مما دفعه عام ١٩١٠ إلى أن يبيع الضيعة التي اشتراها بناحية قرطسا (بحيرة) لقاء اثني عشرة ألف جنيه : يقول (بعت هذه الأطيان وذهب كل ثمنها أدراج الرياح فلم أستفد منه فائدة) كما باع الضيعة الأخرى بدسوقس ومطوبس عام ١٩١٨ بمبلغ ١٦ ألف جنيه وضاع كل إيرادات سعد في مدى عامين وكانت ٣٠٠٠ جنيه مرتب الناظر (الوزير) و ١٥٠٠ جنيه إيجارات باقي أطيانه وأصبح مدينا بمبلغ ٦٥٠٠ جنيها وبذلك بدد سعد الكثير من ممتلكاته يقول في مذكراته (٢٥ مارس ١٩١٢) :

أصبحت منقبض الصدر ، ضائق الذرع ، ولم أنم ليلى بل بت طوله تساورنى الهموم والأحزان وأتنفس الصعداء على فرط منى من اللعب وضياع الأموال التى جمعتها بكد العمل وعرق الجبين وصيرورتى إلى حال سيئة » .

وهكذا أجهز القمار على ثروته التى كونها من المحاماة وكانت لا تقل عن ٤٠٠ فدان و ١٨ ألف جنيه فضلا عما ورثه من صهره مصطفى فهمى : الذى كان يملك ٦٤٨ فدانا و ٨٦٠٠ جنيه وألف أردب قمح وألفى جنيه مواشى وكانت صفية زغلول التى أطلق عليها أم المصريين واحدة من ثلاث بنات خلفها مصطفى فهمى جلاد شعب مصر ثلاثة عشر عاما .

وبعد فهل هذا وحده ما تكشفه مذكرات سعد زغلول التى نطالب بطبعها وإذاعتها لترسم صورة حقيقية لهذه الزعامة التى اختلف فيها الرأى فرفعها بالهوى والصداقة والولاء السياسى لبعض الناس إلى قداسة وبطولة وخفضها آخرون بالخلاف السياسى إلى مكان آخر ، وما نريد أن نظلم أحدا ولكننا نطالب بالكشف عن الحقائق عن طريق الوثائق وما يمكن أن توجد وثيقة أشد صدقا من مذكرات كتبها الرجل عن نفسه .

ومن خلال المذكرات تتكشف أشياء كثيرة خطيرة ومثيرة .

قاسم أمين

كانت حركة تحرير المرأة التي قادها قاسم أمين مؤامرة استعمارية تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم حتى قال محمد فريد: إن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً مريعاً في الآداب العامة وأحدثت انتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبة وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

لقد تراجع قاسم أمين بعد قليل من دعوته إلى تحرير المرأة وجاءت هدى شعراوي فاحتضنها دوائر الماسونية والتغريب واليهودية العالمية .

فى محاولة لتقويم حركة قاسم أمين لتحرير المرأة بعد أن تسربت وثائق عدة تكشف عن خطة أشبه بالمؤامرة وراء هذه الدعوة ، وتطرقت الأسئلة إلى أم المصريين « صفية زغلول » وإلى زعيمة النهضة النسائية فى مصر « هدى شعراوى » التى دعت بعض الأقلام التى تجهل الحقيقة أو تخدع كتابها إلى إقامة تمثال لها والحقيقة أنه لكى نعرف خلفيات هذه القضية يجب أن نذكر شيئا مهما هو أن كتابا ظهر فى مصر عام ١٨٩٤ (أى بعد الاحتلال البريطانى بعام واحد لمحام مصرى موال لكرومر والنفوذ الأجنبى يدعى « مرقص فهمى » تحت عنوان « المرأة فى الشرق » صور فيها خطة الاستعمار فى المطالبة بتحقيق أربعة أغراض :

أولا : القضاء على الحجاب الإسلامى .

ثانيا : إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها .

ثالثا : تقييد الطلاق ووجوب وقوعه أمام القاضى .

رابعا : منع الزواج بأكثر من واحدة .

خامسا : إباحة الزواج بين المسلمات وغير المسلمين

وكان هذا المخطط هو النواة الأساسية للنفوذ الأجنبى الذى تدرس على ضوئه حركة قاسم أمين وهدى شعراوى .. ذلك أنه لما تمض سنوات خمس حتى ظهر كتاب « تحرير المرأة » فكان ذلك خطوة على الطريق ظن

البعض وما يزال يظن سلامتها ونقاءها وبعدها عن الهوى وتحررها من أى خلفية موحية .

فما هى هذه الخلفيات لذلك الحدث الخطير ؟ !

أولا : كتب داود بركات رئيس تحرير الأهرام بجريدته الصادرة فى ٤ مايو ١٩٢٧ ; مقالا :

فقال فيه : إن قاسم أمين قرأ كتاب الدوق داركير « المصريون » ورد عليه بكتاب باللغة الفرنسية وفند اتهاماته . . فلما ظهر هذا الكتاب وصف بأنه لم يكن فى صف النهضة النسائية . . فقدرفع الكتاب من شأن الحجاب وعده دليلا على كمال المرأة ، كما ندد بالداعيات إلى السفور وقد رأت فيه الأميرة نازلى فاضل تعريضا بها . . ثم استطرد يقول (وكانت الأميرة نازلى فاضل ولها صالون يحضره سعد زغلول ومحمد عبده وجماعة من الطامعين إلى تولى السلطة فى مصر تحت قيادة النفوذ البريطانى وبرعاية اللورد كرومر) .

ويقول داود بركات متابعا :

وقد أشير على جريدة المقطم — وهى لسان الإنجليز فى مصر فى ذلك الوقت — أن تكتب ست مقالات عن الكتاب تفند أخطاء قاسم فى هذا الاتجاه ، ودفاعه عن الحجاب ، واستنكاره اختلاط الجنسين . . ثم أوقفت الحملة بعد اتفاق الشيخ محمد عبده وسعد زغلول

مع قاسم أمين على تصحيح رأيه . . وقد حمل الشيخ محمد عبده الدعوة إلى تحرير المرأة فى دروسه فى « الرواق العباسى » بالازهر حين أعلن أن الرجل والمرأة متساويان عند الله . . وقد ترددت آراء كثيرة بأن الشيخ محمد عبده كتب بعض فصول الكتاب أو كان له دور فى مراجعتها ومما اورده الطفى السيد أنه اجتمع فى جنيف عام ١٨٩٧ بالشيخ محمد عبده وقاسم أمين وسعد زغلول وان قاسم أمين أخذ يتلو عليه فقرات من كتاب تحرير المرأة وصفت بأنها تنم عن أسلوب الشيخ محمد عبده نفسه .

* * *

ثانيا : كتب فارس نمر صاحب المقطم مقالا فى مجلة الحديث (الحلبية) عام ١٩٣٩ وأشار إلى هذا الحادث فقال :

« أنه ظهر كتاب للدوق داركير يطعن فيه على المصريين طعنا مرا ، ويخص النساء بأكبر قسط منه . . إذ رماهن بالجهل وضعف مكانتهن فى المجتمع . . فاهتاج الشباب وتطوع قاسم أمين للرد على كتابه . .

ويستطرد فارس نمر يقول :

وهنا أشير لحقيقة لا يكاد يعلمها إلا ندرة فى مصر .. هذه الحقيقة أن كتاب قاسم أمين الذى رد فيه على « دوق داركير » لم يكن فى صف

النهضة النسائية التي كانت تمثلها الأميرة نازلي .. بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي، ويرفع من شأن الحجاب، ويعده دليلا على كمال المرأة، ويندد بالداعيات إلى السفور، واشتراك المرأة في الأعمال العامة .. ولما ظهر كتابه هذا ساء ما به إخوانه من أمثال محمد المويلحي، ومحمد بيرم، وسعد زغلول .. ورأوا فيه تعريضا جارحا بالأميرة نازلي، وتشاوروا فيما بينهم في الرد، واتفقوا أخيراً أن أتولى الكتابة عن هذا المؤلف وعرض فصوله وانتقاد ما جاء به خاصا بالمرأة، وبدأت في كتابة سلسلة مقالات عنه .. ولكن ذلك النقد لم يرق في نظر قضاة محكمة الاستئناف ؛ ورأوا فيه مساسا بهم .. لأن قاسم أفندي كان أحدهم ورأوا أن أفضل وسيلة يبذلونها لكي أكف عن الكتابة أن مؤلفه يرجو الأميرة نازلي؟ فاضل لكي تطلب إلى ذلك .. وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة .. وذات مساء حضرت إلى صالون الأميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي .. وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده مع الأميرة في هذا الشأن .. فالتفتت إلى سموها وقالت لي: أنها لا تجد بأسا في أن أكف عن الكتابة في الموضوع .. وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف أنه يشمل الطعن فيما ندعو إليه .. فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها : أنه يدهش من طلب الأميرة وخاصة لأن الكتاب تعرض لها .. فبدت الدهشة عليها، وكانت إحدى نسخ الكتاب موجودة عندها .. وعبثا حاولت أن أقفل باب الحديث في هذا الشأن وخاصة بعد أن لمحت عليها معالم الاضطراب

والجد والعنف .. فلما اطلعت على ما جاء به ثارت ثورة شديدة ووجهت القول بعنف إلى الشيخ محمد عبده .. لأنه توسط فى هذا الموضوع .. ومرت الأيام بعد ذلك واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحى وغيرهم على أن يتقدم قاسم أمين بالاعتذار إلى سمو الأميرة . فقبلت اعتذاره ثم أخذ يتردد على صالونها . وكلما مرت الأيام ازدادت فى عينه ، وارتفع مقامها لديه .. وإذا به يضع كتابه الأول عن المرأة الذى كان الفضل فيه للأميرة نازلى والذى أقام الدنيا وأقعدها بعد أن كان أكثر الناس دعوة إلى الحجاب . .

انتهى كلام فارس نمر .

ثالثا : أشارت هدى شعراوى فى محاضرة لها إلى هذا المعنى ، وكشفت هذا السر الذى ظل خافيا زمنا طويلا ولم يكشف إلا بعد وفاة قاسم أمين بعشرين سنه :

غير أن الذى يلفت النظر أن قاسم أمين عدل عن رأيه هذا من بعد ، وتبين له أنه أخطأ الطريق . وقد تبين هذا حين صرح قاسم أمين فى حديث له إلى صحيفة « الظاهر » التى كان يصدرها المحامى محمد أبو شادى حيث أعلن رجوعه عن رأيه ، وأعلن أنه كان مخطئا فى (توقيت) الدعوة إلى تحرير المرأة .. هذا التصريح نشرته جريدة « الظاهر » فى أكتوبر ١٩٠٦ .

قال قاسم أمين :

« لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك بل الافرنج فى تحرير نسائهم وغاليت فى هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب . وإلى إشراك النساء فى كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكنى أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس .. فلقد تتبعت خطوات النساء فى كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن ، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتى واستنفر الناس إلى معارضتى .. رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا إليها بألسنة البذاء ، ثم ما وجدت زحاما فى طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدى والألسن جميعا . . أنى أرى أن الوقت ليس مناسبا للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذى قصدته من قبل » . .

ومعنى كلام قاسم أمين هذا الذى نشره قبل وفاته بعام ونصف عام أن قاسم قد اكتشف بعد سبع سنوات من دعوته (التى جاءت استدراجا ومرضاة لنفوذ وليست خالصة لوجه الله تعالى) أنها لم تكن قائمة على أسسها الصحيحة وهى الدعوة إلى تربية الخلق والإيمان بالله ، وأنها لم تكن على طريق الحق . . أو ربما أن قاسم رأى بعد أن تغيرت الظروف بزوال كرومر ووفاة محمد عبده وانطفاء نفوذ نازلى فاضل (ربيبة كرومر) أن يتخفف من هذه التبعة . . وربما كان

لبعض التجارب أثرها في نفسه . . ومما يروى أن صديقا عزيزا زاره ذات مرة فلما فتح له الباب قال : جئت هذه المرة من أجل التحدث مع زوجك ! ! فدهش قاسم . . كيف يطلب مقابلة زوجته . . فقال له صديقه : ألست تدعو إلى ذلك ؟ ! إذن لماذا لا تقبل التجربة مع نفسك . . فأطرق قاسم أمين صامتا . . ومما يذكر أن السيدة زوجة قاسم أمين كتبت منذ سنوات تعلن أن دعوة قاسم أمين كانت خطيرة وأنها لم تكن قائمة على أساس صحيح .

وقال محمد فريد وجدى :

أن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهورا مريعا فى الآداب العامة ، وأحدثت انتشارا مفزعا لمبدأ العزوبة ، وأصبحت ساحات المحاكم خاصة بقضايا هتك الأعراض وهرب الشابات من دور أهلهن .

وذمت الدكتورة بنت الشاطىء ما تكشف من حركة تحرير المرأة مما أصابه مهزلة أليمة موجعة . . تقول بنت الشاطىء :

« إن الرجال ساقونا لنعمل لحسابهم . . وهم يوهموننا أننا نعمل ويعملون معنا لحسابنا . . ذلك أن الرجال رتبوا لنا الخروج زاعمين أنهم يؤثروننا على أنفسهم . . ولكنهم كذبوا فى هذا الزعم فما أخرجونا إلا ليحاربوا بنا السآمة والضجر فى دنياهم » .

ثم قالت بنت الشاطىء :

« إن المرأة دفعت ضريبة فادحة ثمنا للتطور ويكفى أن أشير فى إيجاز إلى الخطأ الأكبر الذى شوه نهضتنا . . وأعنى به انحراف المرأة الجديدة عن طريقها الطبيعى وترفعها عن التفرغ لما تسميه : خدمة البيوت وتربية الأولاد . . ونحن نرى البيوت أصبحت مقفرة منهن . . أما الأبناء فتركوا للخدم . . وقد نشأ هذا الانحراف الضال نتيجة لخطأ كبير فى فهم روح النهضة . . وبلغ من سوء ماوصلت إليه أن نادت مناديات بحذف نون النسوة فى اللغة كأنما الأنوثة نقص ومذلة وعار . . وأهدر الاعتراف بالأمومة كعمل من الأعمال الأصيلة لنا حتى سمعنا من يسأل كيف تعيش أمة برئة معطلة . . يقصد بالرئة المعطلة هؤلاء الباقيات فى بيوتهن يرعين الأولاد . . وزعموا أن المرأة تستطيع أن تجمع بين عملها فى البيت ووظيفتها فى الخارج » .

انتهى كلام الدكتورة بنت الشاطىء .

* * *

أما ما هى ملابسات زعامة هدى شعراوى للحركة النسوية . . فالواقع أن هناك عدة ملابسات لا يفسرها إلا فهم تاريخ الحركة الوطنية فى مصر لرجلين . . أحدهما والدها محمد باشا سلطان والآخر زوجها على باشا شعراوى .

أما والدها محمد سلطان فيقول الدكتور عبد العزيز رفاعى فى كتابه « محمد سلطان أمام التاريخ » :

إنه كان من أعلام الثورة العرابية ، ولكنه تنكر لها فى أحلك أوقاتها ، ومشى فى ركاب أعدائها : الخديو والإنجليز ، حتى نال حظوته من الخديوى بالإحسان ، ومن الإنجليز بالتقدير ، وقد أثبت ماأورده السيد محمد رشيد رضا فى كتابه : « الأستاذ الإمام محمد عبده » ج ١ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ عن الدور الذى لعبه محمد سلطان فى خدمة مخابرات الإنجليز فى سبيل الوصول إلى معسكر العرابيين فى التل الكبير وهكذا حمل لواء الخيانة للثورة العرابية ، وطاف ببور سعيد والاسماعيلية لمعاونة الجيش الإنجليزى الزاحف والإيقاع بجيش عرابى معلناً الثقة فى الجيش الغازى ومطمئناً الأهالى على حياتهم . وقد أفهمهم حسن نيات الإنجليز إزاء المصريين ، وأبان لهم أنهم لا يستهدفون غزو البلاد ، بل يستهدفون تأديب العصاة .

وتابع سلطان نشاطه فأخذ يفرق الناس عن عرابى ، ويجمعهم لمعاونة الإنجليز فأرسل إلى شيخ بدو الهنادى المقيم فى الصالحية ويدعى سعود الطحاوى والآخر إلى محمد صالح الحوت ليتفق معهما على استمالة العربان ولم يكتف محمد سلطان بنشاطه فى الجاسوسية وبث الدسائس فى منطقة القناة وفى ميدان المعركة ، بل مد نشاطه إلى داخل البلاد ليقضى على كل معاونة شعبية لحركة عرابى ، ورافق « واسلى » قائد القوات البريطانية للتفاوض مع مشايخ العربان .

كما كانت الأموال التى أعدها الخديو لرشوة شيوخ البدو فى عهدة سلطان (راجع بلنت : التاريخ السرى ومذكرة سلطان إلى الخديو فى

الإسماعيلية بدار المحفوظات التاريخية دوسيه رقم ٢) .

وكان سلطان هو الذى أبلغ الخديو هزيمة عرابى ، ودخل سلطان القاهرة مزهوا يتطلع لفجر جديد فى حياته بعد أن سجل خيانتـــه ، وكتب تاريخها بنفسه ، وقلده الخديو النيشان المجيدى الأول رفيـع الشأن ووضعه على صدره بيده . وأعطاه عشرة آلاف جنيه تعويضا للأضرار التى لحقت به ثم عينه رئيساً لمجلس شورى القوانين .

ولـكن ضربة القدر لم تمهله ليتمتع بما اشترى من أطيان فداهمه مرض السرطان واشتد به المرض وتوفى فى أوربا سـنة ١٨٨٤ ، وقد أنعم الإنجليز عليه بنيشان سان ميشيل وســان جورج الذى يخول صاحبه لقب « سير » .

هذه هى خلفية الحياة الإجتماعية لقائدة النهضـــة النسوية والتى تزوجت وهى فى الرابعة عشر من رجل غنى موسر صديق لوالدها يبلغ الخمسين من العمر هو على شعراوى باشا أحد الثلاثة الـكبار الذين قابلوا المندوب البريطانى بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى (سـعد زغلول وعبد العزيز فهمى) بوصفهم من رجال حزب الأمة الموالى للاستعمار البريطانى لعرض مطالب البلاد .

ولم يلبث شـعراوى باشا أن توفى وقد كان الثلاثة هم دعاة الولاء

البريطانى والتعامل مع الإنجليز والشاجبين لمفاهيم الحزب الوطنى فى المفاوضة قبل الجلاء .

ولقد وجدت السيدة هدى شعراوى الفرصة سانحة للتبريز خاصة وأن السيدة صفية زغلول إبنة مصطفى فهمى الذى حكم مصر بالحديد والنار خلال أول الإستعمار البريطانى ثلاثة عشر عاما وزوج سعد زغلول والمسماة بأسماء الأضـــداد «أم المصريين» تستأثر بالزعامة السياسية فأرادت أن تفتح مجالا جديدا تنفرد فيه بالزعامة فكان ذلك هو مجال المرأة خاصة وأنها نزعت نقابها فى ثورة ١٩١٩ .

ولقد تلقفتها جماعات تحرير المرأة العالمية والمنبثة فى أوربا وخاصة فى باريس وبرلين وبروكسل والتابعة للمحافل الماسونية ومنظمات الصهيونية العالمية ووجدت فيها طيراً سميناً فدعتها إلى حضور المؤتمرات النسوية العالمية التى كانت الصهيونية العالمية تديرها من وراء ، والتى كانت تستهدف بأحداث الضجيج حول حقوق المرأة السياسية فى البرلمان والحكم خلخلة المجتمعات الإسلامية ودفعها إلى طريق الإنهيار .

والمعروف أن هدى شعراوى لم تنطلق فى دعوتها من أى منطلق إسلامى ، بل على العكس من ذلك كانت سيدة سافرة رزة لها صالون ويتحلق حولها عدد من الرجال المجندين لكتابة الخطب والكلمات التى كانت تلقيها فى الاحتفالات وكانت تنفق على ذلك من أموال سلطان

باشا التي دفعت ثمنها الثورة العرابية ، وكان في مقدمة هؤلاء إبراهيم الهلباوي باشا محامي دنشواي والشيخ محمد الأسمر الشاعر . . وقد استطاعت أن تجند بعض الشباب ، وأن ترسل بهم في بعثات تعليمية خاصة على حسابها إلى أوربا ومنهم من عمل في الصحافة من بعد ، وحمل لواء الدعوة إلى تقديس هدى شعراوي ، ودعا إلى تلك الأفكار التي تحرض المرأة على التحرر من القيود الاجتماعية ، والانطلاق حتى كان أحدهم يقول لواحدة سألته :

« لو كنت بغير أولاد لقلت لك اتركيه ورزقك على الله »

والمعروف أن السيدة هدى شعراوي لم تكن تعبأ في دعوتها بالمفهوم الإسلامي للمرأة ، أو تصدر عن فهم حقيقي لرسالة البيت والأسرة ولم تكن تتحرك في هذا الإطار . . وإنما كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى . . وذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمودات المستحدثة . وكانت أجنحتها من المثقفات ثقافة فرنسية وذات الولاء الماركسي والصهيوني ، ولم يكن للمفهوم الإسلامي لديهم أي أهمية .

ويقول الأستاذ حسين يوسف :

إنه لم يكن عجبا أن يعمل الاتحاد النسائي بزعامة هدى شعراوي للأهداف التي يحرص الاحتلال على الوصول إليها ، وأن يردد في عام ١٩٢٣ نفس المبادىء التي نادى بها مرقص فهمي من قبل ، وتورط فيها قاسم أمين . . ولما كان دعاة تدمير مفاهيم المرأة المسلمة لا ينامون فإنهم يدعون اليوم إلى تجديد ذكرى هدى شعراوي بإقامة تمثال لها . . والهدف هو دعم هذه الأفكار المسمومة التي تستهدف تدمير الأسرة المسلمة وتحطيم البيت المسلم .

طه حسين

عميد الأدب العربي الذي مازالت مؤلفاته تحمل سموم الاستشراق وتهاجم الإسلام والقرآن

عن مجلة الاعتصام — نشرت جريدة المجتمع الكويتي ، بعددها رقم ١٧٧ بتاريخ ١٣ من ذي القعدة سنة ١٣٩٣ (١٩٧٣)، مقالا مطولا كشفت فيه عن كثير من الحقائق التي لا بد لأبناء الجيل الإسلامي الحالي ، أن يعرفوها ، حتى لا ينخدعوا بالدعاوات الكاذبة التي ملأت الآفاق في رثاء طه حسين ، وتمجيده في حين أنه كان صنيعة لأعداء الإسلام ، وداعية للمدنية الغربية بكل مفاسدها وشرورها .

وفيما يلي بعض ما تضمنه المقال المذكور من وقائع ، وفيها الكفاية لإدراك الحقيقة .

استطارت في صحف البلاد العربية كلمات مجلو ومراث سريعة خاطفة حاولت أن تسد فراغا صحفيا على وجه العجلة فلم تتمكن من أن تراجع التاريخ أو تتثبت من الوقائع ، وربما صاحب ذلك هوى، من شأنه أن يتعارض مع الحق ، وربما كانت كتابات بعض المتصدرين في مجال الصحافة عن لم يحسنوا مراجعة الآثار المكتوبة حول القضايا المثارة ومنهم من شهد السنوات الأخيرة فنشأ طفلا يرى (طه حسين) رجلا

كهلا تحيطه هالة ، أو تدرس كتبه فى الجامعات أو يشرف على بعض المؤسسات الثقافية واللغوية فظن هؤلاء — وبعض الظن إثم — أن الرجل له تاريخ مشرف جدير بأن يشاد به ويرثى ولقد حوت كتابات الكتاب الكثير من الخطأ ومن الهوى ، ومن عجب أى بعض المؤمنين لحق بمن كتبوا عن الإسلام أو هاجموا بعض خصومه أمثال لويس عوض وسلامة موسى وغيرهم يسقطون فى هوة الخداع إزاء طه حسين وهو أشد خطرا من هؤلاء جميعا وأبعد أثرا .

ولسنا الآن فى مجال الحديث عن موقع طه حسين من الأدب العربى أو الفكر الإسلامى فذلك أمر له من بعد دراسات ومراجعات ولكننا نقف عند حد تصحيح بعض الأخطاء التى تضمنتها هذه المراثى التى أعادت الرجل حيا بعد أن مات موتا معنويا منذ عشر سنوات عندما توقف عن الكتابة وداهمه المرض الذى كان حفيا بأن يفسح له سبيل العودة إلى الله ولقد كان يتردد فى هذه السنوات بل كان الدكتور نفسه يقول :

إنه لا يسمع من الإذاعة غير القرآن المرتل وكان بعض السذج من الناس يقول : لقد تاب الرجل وأناب .

وكذلك قالوها يوم أصدر كتابه (على هامش السيرة) ولكن الفهم السليم للإسلام يدعونا إلى أن نتحرز من مثل هذه المظاهر الكاذبة وأن نتعمق مفهوم التوبة فى الإسلام وهو مفهوم يفترض على صاحبه أن يرجع عن كل ما خالف به أصول الإسلام أو حقائق القرآن وأن

يعلن ذلك على الملأ وأن يحجب مؤلفاته التى نشرت ذلك من قبل ، بل وعليه أن يصحح ذلك ويوضحه وأمامنا مثلان :

مثل فى القديم هو (أبو الحسن الأشعرى) حين خرج من فتنة الاعتزال إلى ضوء السنة الصحيحة فانه لم يلبث أن وقف فى المسجد الجامع بعد الصلاة على كرسى وأعلن توبته بل وخرج من ملابسه وقال : لقد خرجت من الاثم الذى كنت فيه كما أخرج من ثوبى هذا وأتى إلى الناس بمؤلفاته الجديدة التى يعارض بها قديمه الذى خرج منه وأمامنا الدكتور محمد حسين هيكل الذى أعلن فى مقدمة كتابه (منزل الوحى) أنه قد خاض فى شبابه لجج النظريات وكان مخطئاً حين حاول أن يختار لبنى وطنه فكر الغرب أو منهج الفرعونية وأنه عاد إلى الحق حين تيقن أن الإسلام هو المنطلق الوحيد للمسلمين إلى النهضة .

فهل فعل طه حسين شيئاً من ذلك إذا كان حقيقة قد تحول . نحن نعتقد أن طه حسين لم يتحول حتى مات عن مفاهيمه الأولى وأنه أصر على فكره إصراراً كاملا حتى حين كتب إسلامياته المتعددة وأن المراجعة الدقيقة لهذه المؤلفات تكشف عن أنها تحول فى المظهر أو كما يقول الغربيون أن طه حسين غير جلده ، أو أنه حين سقط فى نظر الناس بعد كتاب (الشعر الجاهلى) إنما أراد أن يعود إليهم كاسبا ثقتهم بالكتابة عن « هامش » السيرة وكانت خدعة أخرى كشفها صديقه ورفيقه على الطريق فى المرحلة الأولى الدكتور هيكل حين قال إنه

إحياء الأساطير فى هامش السيرة خطر على السيرة نفسها لأنه يعيد إليها ما حررها منه علماء المسلمين أربعة عشر قرناً وحرصوا على حمايتها منه وقال عنها مصطفى صادق الرافعى إنه تهكم صريح .

لقد خدع طه حسين الكثيرين بكتاباته الإسلامية ولكن هذا الخداع لم يطل فقد كشفه كثيرون فى مقدمتهم محمود محمد شاكر الذى كشف فصولا متعددة عن (الفتنة الكبرى) .

* * *

من أبرز ما يحاول الذين رثوا طه حسين أن يثبتوه أن طه حسين فى مؤلفاته وكتاباته كان خصما سياسياً الذين هاجموه وألبوا عليه وأن ما أورده فى كتبه لم يكن على هذا النحو من الخطر فى مهاجمة الإسلام.

وذلك هو أسلوب الاستشراق فى مواجهة الأمور وهو نفس أسلوب طه حسين الذى كان إذا أراد أن يهاجم الإسلام هاجم الأزهر وإذا أراد أن يرد عادية خصومه قال إنما يهاجمون حزبه السياسى ولقد حرص طه حسين حين اشتدت الحملات عليه عاما بعد عام بعد كتابه الشعر الجاهلى أن ينفصل من معسكر الأحرار الدستوريين وأن يلجأ إلى معسكر الوفد حتى يحتمى به .

وقد أكسبه ذلك سناداً ضخماً أعانه ليس فقط على الاستمرار فى

الحركة — ولكن مكنه من توصيل إلى ضربة أخرى وجهها إلى الفكر الإسلامى تلك هى كتابه :

« مستقبل الثقافة » وكذلك فقد إستفاد طه حسين من السياسة فهى التى حمته من العزل ومن المحاكمة ومن أشياء كثيرة ، بل هى التى كانت تسهل له أن ينتقل بالرغم من مواصلة كشف أساليبه — من منصب أستاذ الجامعة إلى عميد كلية الآداب إلى مدير الجامعة إلى وزير المعارف .

وإذا كان رثاة طه حسين يريدون حقاً أن يصدقوا الناس ويقولوا لهم أن طه حسين عندما كان فى حزب الأحرار الدستوريين — قد هاجم سعد زغلول بأكثر من (مائة مقال) فى خلال سنوات (١٩٢٢ — ١٩٢٧) حتى وفاته فلما تحول طه حسين إلى الوفد بعد ذلك كتب عن سعد زغلول وخطب يرفعه فوق هام الدهر دون أن يحس بالخزى أو الخجل ودون أن يرى إبتسامات السخرية من سامعيه وقارئيه لكذبه فى الأولى وفى الآخرة وتضليله وغشه .

وتردد مراثى طه حسين عبارات تقول أنه أضطهد ككل أصحاب الرسالات فأى نوع من الاضطهاد شهده طه حسين . هل أعتقل ليلة واحدة فى أى عهد . هل قدم للمحاكمة مرة واحدة . هل عذب؟ هل حيل بينه صيف واحد وبين السفر إلى فرنسا حتى فى اشد ايام ازمة الشعر الجاهلى . لم يحدث ذلك قط وإنما كان ذلك من لغو القول وباطله .

إن طه حسين كان يعرف أنه فى حماية قوى كبرى ربما ليست ظاهرة ولكنها تختفى وراء الأحزاب، وراء عدلى وثروت، والتمس أسلوبها إلى ذلك بالعطف على الكفيف والرحمة بالمجنون . كما قال سعد زغلول للأزهريين : هبوا أن رجلا مجنونا قال ما قال ، وماذا علينا إذا لم يفهم البقر !!

ويردد أصحاب الرأى أن لطه حسين حياة حافلة بالنضال ولكنه أى نضال ، لقد بدأ طه حسين حياته فى محيط حزب الأمة الذى أنشأه كرومر وفى أحضان لطفى السيد داعية الولاء للاستعمار البريطانى تحت اسم مصر للمصريين وعدو الجامعة الإسلامية والعروبة والشريعة الإسلامية واللغة العربية وتعليم أبناء الفقراء .

ولقد لقى طه حسين فى حياته (عبد العزيز جاويش) وبيئة الحزب الوطنى ولكنه سرعان ما أعرض عنها ، لأنها ليست ممهدة الطريق ولأنها كانت تحمل مفاهيم النضال والجهاد ، وكسب صلته بأصحاب البيوتات وفى مقدمتهم آل عبد الرازق الذى كان أثيرا لدى عطفهم ومعونتهم ولما عاد من أوربا اندمج فى حزب الأمة المجدد تحت اسم (الأحرار الدستوريين) ولم يدخل الوفد إلا بعد أن فقد الحزب أمانته للأمة وانصهرت فيه العناصر اليسارية والشيوعية .

أما أخلاقه التى يشيدون بها فهى تتجلى صراحة فى موقفه من أساتذته الذين عاونوه فى أول الحياة والذين شقوا له الطريق فلم يلبث

أن هاجمهم فى عنف وصلف واحتقار ، بل وعارض مفاهيمهم الأصيلة :
وفى مقدمة هؤلاء الشيخ المهدى ومحمد الخضرى وأحمد زكى باشا وأعلن
أنه يرفض المنهج الذى رسمه الشيخ محمد عبده .

وقد سجل جميع الباحثين فى سيرته وفى مقدمتهم أولياء الثقافة
الغربية من أمثال إسماعيل أدهم أحمد أنه لم يكن عالما ولا صاحب
منهج ، وأنه صاحب هوى وغرض وأن ذلك الطابع يسود كل إنتاجه .

أما مفاهيمه العامة فقد أثار الدنياحين أعلن أن العرب استعمروا
مصر كالرومان وحرقت مؤلفاته فى ميدان عام فى دمشق ، وقال أن
مصر جزء من حضارة البحر المتوسط ، وهاجم المجاهدين من أهل
المغرب فى رسالته وصور استعمار فرنسا خدمة عظمى تقدمها لهم فرنسا .
وكانت له مواقفه فى معارضة العروبة والرابطة الإسلامية فى دعوته
إلى تمصير اللغة وإلى تمصير الأدب ، وكلها دعاوى زائفة مشبوهة .

وكانت دعوته إلى الحضارة الغربية فاسدة لأنه لم يأخذ فيها
بأسلوب الحيطة أو أسلوب العلم بل كان حريصا على أن تنصهر مصر
والبلاد العربية فى هذه الحضارة على النحو الذى صوره حين قال (أن
نقبل من الحضارة ما يحمد منها وما يعاب وما يحب منها وما يكره) .

كان داعية الفناء فى الغرب تحت خدعة زائفة ظل يروجها وكانت
موضع سخرية الناس لسذاجتها وهى قوله : أننا لن نستطيع أن نساوى
الغرب إلا إذا سرنا سيرته ، وكيف يمكن ذلك وقد سارت تركيا

ومع ذلك سخر منها الغرب لأنها عجزت عن أن تقدم شيئاً فى مجاله العلم وما زالت عالة عليه بعد أن فقدت شخصيتها الإسلامية .

ويكذب أو يخدع أولئك الذين يقولون أن طه استوعب ثقافة التراث أو أنه نقل ثقافة التراث أو أن وجهته فى الكتابات الإسلامية كانت خالصة لوجه الله أو العلم أو الحق ذلك أن طه حسين قد أراد أن يتخذ من التراث منطلقاً إلى تحقيق جانب من رسالته ، تلك هى إثارة الشبهات والروايات الباطلة ، والتقليل من جلال أبطال الإسلام ، وتصويرهم بصور رجال السياسة فى الغرب المسيطرين على مطامع الحكم ومطالب الحياة . ولا يستطيع أن يفهم التراث أو يقدمه المسلمين فى هذا العصر إلا رجال آمنوا بالإسلام ديناً ونظام حياة وعمرت قلوبهم تلك الأمانة للإسلام والغيرة على معطياته ومنجزاته . أما طه حسين فقد عاش حياته كلها يسخر بعظمة أمة الإسلام وبما فى صفحاتها من بطولات ويفسرها طبقاً للمذهب الاجتماعى الفرنسى ، المتصل بالتفسير المادى للتاريخ القائم على الجبرية وهو مذهب ينكر عظمة النفس الإنسانية وجلال الروح ومكانة المعنويات كان طه حسين كذلك فى أول ما كتب (ذكرى أبى العلاء) وظل كذلك إلى آخر ما كتب (مرآة الإسلام والشيخان) .

وكل ما يحاول الإغراء أن يجمعوه من آرائه عن القرآن أو الإسلام أو التاريخ فإنما يقدم إليه مفهومة الباطل فيجعله هباء منثوراً ، فهو لا يرى فى القرآن أكثر من أنه كتاب بلاغة ، ولا يرى فى البطولات إلا

أنها من نتاج البيئة ، ولا يرى في النبوة إلا أنها إقدرة رجل عظيم استوعب فكرة عصره ، فهو لا يؤمن بالنبوة ، وذلك واضح من كتاباته ومن مراجعات الباحثين لآثاره وهي كثيرة ومقدمتها كتاب غازي التوبة ومحمد محمد حسين والرافعي ومحمد أحمد الغمراوي وكاتب هذه السطور .

إن طه حسين مع الأسف لم يكن يؤمن بشيء ، كان ساخراً وكان مشككاً وكان متقلباً ولقد كدت أكتب عبارة (أولها حرف ر) .

وآية ذلك أنه ألقى العمامة في البحر عندما ركب السفينة أول مرة إلى أوربا في مشهد درامي ، تمثيلي ، وأنه كان يقول القول وينقضه فقد أعلن أمارة العقاد للشعر ثم سحب ذلك في سنواته الأخيرة ، أما قدره العلمي فقد كشف عنه سكرتيره ألبير بوان وسكرتيره زكي مبارك وظهر ذلك واضحاً في سقطات فاضحة .

من مثال قوله (وقد وقعت بين القيسية واليمانية معركة (مرجرات) ثم اتضح من بعد أنها (مرج راهط) ولكن هكذا يكتبها المستشرقون وقد أشار زكي مبارك إلى ذلك في دعابة ساخرة حين قال : أن طه حسين دخل حديقة المستشرقين بالليل ليسرق ثمرة أو ثمرتين فصادفته هذه الثمرة المعطوبة) ولا شيء يستطيع أن يحمي طه حسين من شبهة الاتصال بالصهيونية أو اليهودية العالمية في مجال الفكر وربما عن طريق آخر بالإضافة

إليهما . ولذلك قصة طويلة لها وقائعها الثابتة والأكيدة والمتصلة طوال حياته منذ أعلن عن عدم وجود إبراهيم إسماعيل عام ١٩٢٦ إلى أن صير مديراً لدار الكاتب المصرى ١٩٤٦، وبين ذلك تاريخ طويل يمكن أن يروى فى مقال متصل ويؤيده ما قاله شارل مالك فى رثاء طه حسين .

هناك سؤال لماذا انقلب إسلاميا داعيا إلى التراث ؟

الإجابة السريعة قبل إيراد التفاصيل هى محاولة تمكينه من أن يكون مرجعاً إسلاميا يستغله التبشير والاستشراق فى السنوات الخمسين القادمة ولذلك فقد حولوه من مغايظة الجماهير إلى إرضاء الجماهير ؛ ارضائها بالخداع والزيف .

وكلامه عن الإسلام كله بمفهوم الإسلام الغربى المسيحى: أنه علاقة بين الله والإنسان ، عبادة ، لا هوت وليس أكثر من ذلك ، وطه حسين يعتنق ما كان يعتنقه فولتير ورينان وغيرهما من التفرقة بين الإيمان بالقلب والكفر عن طريق العقل .هذه الازدواجية التى يعرفها الغربيون ويفخرون بها ، وتعتنقها بعض الفصائل المضللة من توابع المستشرقين فى البلاد العربية ممن لا قيمة لهم ولا وزن وممن لن يتبقى لهم آثار ولا أعمال .

إن طه حسين بالعمل فى مجال الإسلاميات منذ أصدر هامش

السيرة ١٩٣٣ ونشره في الرسالة كان يفتح صفحة جديدة وأخيرة في تاريخه وتاريخ الفكر الاسلامي هي صفحة تقديم البديل من أجل القضاء على الأصيل ومع الأسف فقد شارك هيكل والعقاد وانكشف أمرهم عام ١٩٣٩ حين قال لهم إمام كبير :

بيننا وبين الاسلام أن تؤمنوا بأن الاسلام نظام حكم وقوم مجتمع ، فصمتوا صمت القبور . استطاع طه حسين من خلال كتاباته الاسلامية أن يصور الروابط بين الصحابة على نحو مؤسف ردىء ، وكان قد أعلن من قبل في رده على العلامة : رفيق العظم احتقاره للتاريخ كما اتخذ في بعض الشعراء الماجنين دلالة على فساد القرن الثاني الهجرى الحافل بأعلام المسلمين في الفقه والعلم والتصوف والأدب والفكر كله.

لقد تحول طه حسين في أساليبه يخوض معركة أشد خطراً، هي معركة تزييف مفهوم الإسلام والتاريخ الاسلامي ، وقد جرى في ذلك مع منهج الاستشراق الذى تغير في أواخر الثلاثينات حين تحول من مهاجمة الإسلام علانية إلى الخداع، بتقديم طعم ناعم في أوائل الأبحاث ثم دس السم على مهل ومن خلال فقراتها وكان هذا هو أسلوب الاستشراق اليهودى الماكر .

وقد استخدم طه حسين هذا المنهج ببراعة ونجح فيه . فلم يكن طه حسين يؤمن بالدين ولا بالتراث ولا بعظمة هذه الأمة ولا بأمجادها الإسلامية ولا بحركة اليقظة فيها، ولقد تهدمت كل أعماله قبل وفاته وخذلته كل الكتابات الجديدة والايجابية عن الشعر الجاهلي وعن ابن خلدون، وعن مفهوم العروبة المرتبط بالاسلام وعن هزيمة الفرعونية وعن اندحار دعوته إلى الغض من شأن الأزهر .

(٥)

سلامة موسى

محاولة إعادة سلامة إلى الحياة محاولة خاسرة وقد باءت بالفشل الذريع. سلامة موسى الرجل الذى لم يعرف فى تاريخه الطويل موقف يدعو فيه لتحرير مصر من الاستعمار البريطانى وقد سقطت جميع آرائه وكشفت حركة اليقظة عن زيفها وفسادها .

لقد كانت كل كتابات سلامة موسى وأفكاره فى حقيقتها جماع خيوط المخطط الماسونى التلمودى بباطله وهدمه وأخطاره ولقد عرف أن سلامة موسى كان يلفظ الإسلام والمسيحية معاً وهو الذى أضاف إلى قائمة الرسل والأنبياء فرويد وماركس ودارون ولينين .

كان السؤال الهام فى الندوة عن تلك الظاهرة الخطيرة التى حاولت بها بعض الجهات طرح كتب سلامة موسى فى السوق مرة أخرى بأعداد كبيرة ، ونشرت عديداً من كتبه ماعدا كتابه (اليوم والغد) الذى قال بعض أصحاب الولاء أنهم ان يعيدوا طبعه والسر أن هذا الكتاب يكشف حقيقة سلامة موسى ، ودعوته المسمومة ، والشعوبية والماركسية جميعـــاً .

والحق إن كتابات سلامة قد تجاوزها الزمن ، ولم تعد تمثل أى عطاء ثقافى بعد أن سقطت كل هذه الدعاوى التى روجها لاستشراق والتغريب فى الثلاثينات والأربعينات . . شأنه فى هذا شأن طه حسين ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق ومن تبعهم أمثال حسين فوزى وتوفيق الحكيم ولويس عوض وغيرهم .

والواقع أن النفوذ التغريبى لا يهمد ولا يتوقف عن غاياته وإن بدا أنه يغير جلده بين حين وآخر ليخدع أجيالا جديدة بتلك السموم التى قدمها على أيدى عملائه ثم تكشف زيفها .

دعا سلامة موسى إلى استعمال العـــامية وهدم العربية ، وجدد الدعوة لويس عوض فى مصر ويوسف الخال وأنيس فريحة فى الشام وكانت النتيجة هى الفشل المحقق .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوة بعده كثيرون ولم يصلوا إلى الشىء .

دعا سلامة موسى إلى الفرعونية ، وجدد الدعوة إلى إبطال حكم من أحكام الدين وذلك بشأن ميراث المرأة ، وقد لقنه الباحثون درساً قاسياً مريراً .

دعا سلامة موسى إلى الماركسية وقد كشفت الأيام زيف دعوته وفساد وجهته .

والحقيقة أن سلامة موسى لم يكن إلا رجلا يحمل التراب فيذروه في وجه الناس حقداً وكراهية لهذه الأمة أن يتحقق لها امتلاك إرادتها ، وخدمة لكل التيارات الحاقدة عليها والكارهة لها . ولقد كان الكاتب في هذه الفترة يعرف بأنه ماركسي أو غربي او داعيا لفرنسا أو انجلترا ولكن سلامة موسى كان يعمل لكل هذه الجهات عن طريق الماسونية والمخطط الصهيوني الذي كان يحتضن كل فكر هدام . . فكان ينشر من كنانته كتابات عن (دارون) ومذهبه ، وعن (فرويد) ومذهبه ، وعن إقليمية مشوبة بالفرعونية ، وعن العامية مشوبة باللاتينية ويحتضن كل كتاب هذه السموم من (ولكوكس) إلى (ماركس) ويدعي ويناقض دعوته بمدح الخديو إسماعيل ، وموالاة الاستعمار البريطاني ولا ريب فقد تخرج سلامة موسى من مدرستين :

من مدرسة تربية أبناء العرب الذين يقعون في شباك القوى العظمى فقد ذهب سلامة موسى إلى بريطانيا وفرنسا في ذلك الوقت الباكر وجند لهذه الغاية أما الأخرى فقد كان تابعا لمدرسة شبلي شميل وجورجي

زيدان ، وفرح انطون ، ويعقوب صروف . هذه المدرسة التي كونها التبشير في بيروت، ثم قذف بها إلى مصر والبلاد العربية فتولت مقاليد الصحافة والثقافة وحملت حقدها الوافر على الإسلام والخلافة الإسلامية ، واللغة العربية ، وتاريخ الإسلام وسيرة الرسول ﷺ .

إن هناك وقائع خطيرة كاشفة لحقيقة سلامة موسى بعد أن فضحه أصحاب دار الهلال الذي كان يعمل عندهم ، ويتصل من ورائهم ببعض الجهات ليشي بهم (ابريل ١٩٣١ - مجلة الدنيا الجديدة) وقد اشرت بالزنكغراف خطاباته التي يقول فيها لمسئول :

« فأنا أكتب لسعادتكم وإدارة الهلال تهيئ عدداً خاصا من المصور لسعد زغلول تستكتب فيه عباس العقاد وغيره من كتاب الوفد ومثل هذا العمل يتفق مع التجارة ولكنه لا يتفق مع الدعوة الحكومة الحاضرة ومشروع المعاهدة . لأن الاكبار من ذكرى سعد . وتخصيص عدد له هو في الحقيقة اكبار من شأن الوفد ودعوة إليه إلى مستعد الدعوة للمعاهدة فهل لى أن انتظر معاونتكم » .

كتب هذا أبان وزارة اليد الحديدية التي شكلها محمد محمود ، وتاريخ الخطاب ٢٢ أغسطس ١٩٣٩ وهو لا يزال في دار الهلال مايزال يتقاضى مرتبه منها ، ويدخلها كل يوم يبتسم في وجه أصحابها ، ويظهر لهم الود والاخلاص وفي الوقت نفسه يدس لهم ، ويتجسس عليهم ، ويرسل التقارير إلى وزارة الداخلية .

ثم عاد يتمسح بالوفد (أبريل ١٩٣١) فكشفت دار الهلال هذه الوثيقة وقالت : « أنت تتمسح اليوم بأعتاب الوفد ، وتتملق زعماء الوفد . . إن لدى دار الهلال البرهان القاطع على تلونك وغدرك »

ولم يقف الأمر عند هذا الحد . . فقد أرسل خطابا (نشرت صحف دار الهلال) صورته الزنكغرافية موجها إلى الأستاذ حسين شفيق المصرى فى ٣ نوفمبر ١٩٣٠ هذا نصه :

عزيزى حسين :

بعد التحية : تعرف الخصومة بينى وبين السوريين (أى أصحاب دار الهلال) فأرجوك أن ترسل لى خطابا على لسان سورى وقح يشتمنى فيه بإمضاء اسكندر مكاريوس أو غيره من المكسوس . . وأنا فى إنتظار الخطاب . .

أخوك سلامة موسى

وقد علق الأستاذ حسين شفيق المصرى على هذا يقول :

كان يريدنى أن أزور خطابا ، وأن أفترى على أمة ، وأن أنزل إلى الدرك الأسفل من النذالة بالكيد لقوم ليس بينى وبينهم غير الصداقة والمودة . .

هذا اللعب من لعب الصبيان فعجيب أن يكون منه وهو ينادى

بأنه فيلسوف من علماء النفس ، أغفر له كل شيء إلا أن يظن بي ماظن من الجهل والحق . . وهو يدعوني إلى كتابة ذلك الكتاب الذي أشتمه فيه بتوقيع رجل برىء لا ذنب له إلا أن في الدنيا رجالا لا يحاسبون ضمائرهم ، ولا يرون أبعد مما بين أنوفهم وجباههم .

* * *

بل ويذهب سلامة موسى إلى أبعد من ذلك فيقول :

« ومما يدل على أن حركتنا الوطنية بأيدي ناس غير قادرين على الاضطلاع بها أن الحركة التي قامت في العام الماضي وكانت غايتها اصطناع القبعة قاومها رعاؤنا وقتلوها في مهدها . . فأثبتوا بذلك أنهم لا يزالون آسيويين في أفكارهم ، لا يرغبون في حضارة أوربا إلا مكرهين . . وقد أدرك مصطفى كمال الذي لم تنجب بعد نهضتنا رجلا مثله ولا ربعه ، ولا يعرف مقدار ما القبعة من القيمة والإعلان بالإنسلاخ عن آسيا ، والانضمام إلى أوربا ، ولم يمتنع من استعمال السيف في هذا » .

ويقول :

« هذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجهراً فأنا كافر بالشرق ، مؤمن بالغرب وفي كل ما أكتب أحاول أن أغرس في ذهن القارىء تلك النزعات التي اتسمت بها أوربا في العصر الحديث ، وأن أجعل قرائي يولون وجوههم نحو الغرب ، ويتنصلون من الشرق » .

ليس هناك حد يجب أن نقف عنده في اقتباسنا من الحضارة الأوربية

ويقول :

« ليس علينا للعرب أى ولاء ، وإدمان الدرس لثقافتهم مضيعة الشباب ، وبعثرة لقواهم .. وكيف يمكننا أن نعتمد على جامعة دينية بينما في العالم نظرية تقول : أن الإنسان لم يكن راقياً فانحط كما تقول الأديان .. بل هو كان منحطاً فارتقى ، نعني بها نظرية التطور بل كيف يمكن لإنسان مستنير قرأ تاريخ السحر والعقائد أن يطالب منه أن يخدم جامعة دينية . إن الجامعة الدينية في القرن العشرين وقاحة شنيعة » .

ويقول :

« لا عبرة بما يقال من أن الإسلام أمر بالشورى فإن خطب جميع الخلفاء تشبه أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم نظراً بابويا بل البابا نفسه إذا قيس إليهم في بعض الأشياء يعد دستوريا » .

ويقول :

« إن أكبر تجربة اجتماعية رآها العالم هي الشيوعية الروسية الحديثة وظهور الشيوعية هو بمثابة حاجز بين الماضي والمستقبل فهي تفصل الاثنين فصلا واضحاً وهي على ما فيها من نقائض اليوم وعلى ماينال الناس البعيدين عنها من الرعب فإنها ستكون بذرة لجملة أنظمة اجتماعية في المستقبل » .

وهكذا تحوى كتابات سلامة موسى كل السموم التى علوه أن يثيرها فى أفق العرب والمسلمين يوماً بعد يوم، علوه أن الاشتراكية هى الهدام الأكبر للمسلمين وازدراء كل ماهو عربى، والدعاية الشيوعية، وكذلك الدعاية للإباحية.

يقول سلامة موسى :

« ليس من مصلحة الإنسان أن يعيش فى قفص من الواجبات الاخلاقية، يقال له هذا حسن فاتبعه وهذا سىء فاجتنبه ».

وعلوه الدعوة إلى التبعية للغرب والاستعمار.

يقول سلامة موسى أيضاً :

« أجل يجب أن نرتبط بأوربا، وأن يكون رباطنا بها قوياً نتزوج من أبنائها وبناتها، ونأخذ عنها كل ما يجد فيها من اكتشافات واختراعات وننظر للحياة نظرها، ونتطور معها تطورها الصناعى، ثم تطورها الاشتراكى والاجتماعى، ونجعل أدبنا يجرى وفق أدبها بعيداً عن منهج العرب، ونجعل فلسفتنا وفق فلسفتها ».

هذا هو سلامة موسى الذى يريدون أن يحيوه مرة أخرى ويجددوا فكره. هذا الفكر الذى تجاوزه المسلمون والعرب اليوم وإن كانوا

قد خدعوا به هناك يوم كان دعاة التغريب تموى كتاباتهم بالسموم !!

إن كل ما قدمه سلامة موسى عن الماركسية والفرويدية والداروينية هى كلمات محمة قد جاوزها البحث العلمى الآن ، وكشف زيفها فقد ظهر الآن فساد ما دعا إليه دارون وتبين أن وراء إذاعة دعوتها ونشرها كانت التلمودية التى تريد أن تقول أن الانسان حيوان لتمهد لفرويد اليهودى نظريته فى الجنس وكانت الماركسية والفرودية والداروينية من أدوات الفكر الصهيونى . الذى حاول أن يؤسس مدرسة فى البلاد العربية والإسلامية . كما دعا إلى البهائية التى عرفها فى لندن سنة ١٩١٠ عندما اتصل بجماعة الدمريين ولم يدع كتابا لم يقرأه وكانت معظم مؤلفاتهم فى نقض الأديان السماوية — على حد تعبيره — ولا بد أنه اتصل بمحافل الماسونية ، وتعلم فيها فان كل اتجاهه كان ماسونياً تلموديا ولم تعرف حقيقته إلا بعد أن ترجمت بروتوكولات صهيون إلى اللغة العربية عام ١٩٤٨ وأن كل محاولاته وخططه كان ثمرة هذه التبعية الماسونية التلمودية وقد أشار كثيرون إلى أنه لم يكن مسيحياً صادقاً وإنما كان ولاؤه لفرويد وماركس .

وقالوا الشجرة الفاسدة تثمر ثمراً رديئا وكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار .

ولا ريب أن دعوة سلامة موسى إلى وحدة الاديان هى من مفهوم البهائية ، وأن اهتمامه بالسلطان « أكبر » الهندى الذى أجرى هذه

التجربة داخل فى دعوته كذلك دعوته إلى وحدة الوجود، ومذهب (سبينوزا) فى وحدة المادة والقوة والروح والجسد هى من طريق خطة الواضح وكذلك فهو يرى أن حرق جثمان الميت أطهر وأنظف !!

وقد تمنى سلامة موسى أن يحرق جسده بعد موته، وقد عمل على نشر آراء تولستوى وغاندى لأنها تحاول مواجهة مفهوم الإسلام الجامع ومفهوم الجهاد وحتى ديانته المسيحية فإنها لم تسلم من هجومه وهو يعتقد أنها حجبت عن عقول الناس نور الثقافة اليونانية وحريتها، وأن هذا الحجب والحجر ظل ألفاً وخمسمائة سنة حتى بدت بشائر النهضة الأوربية التى كان أساسها الخروج عن سلطان الكنيسة وأطباقها على النفس والعقل البشريين، والعودة إلى أسس الثقافة اليونانية وحريتها.

وقد بشر بدين جديد دعا إليه ودخل هذا الدين فى عقيدته. أنه دين البشرية كما يسميه وهو ما دعا إليه (أوجست كونت) ويرى أن دين البشرية بذرة من ديانة بوذا وهو دين لا يدعو إلى الإيمان بالله، أو الخلود فى العالم الثانى، ولا ريب أن هذا الاتجاه الذى استكمله بأنبياء آخرين آمن بهم هم ماركس وفرويد يوحى بماسونيته وولائه اليهودى الصريح، كذلك فإن دعوته إلى العالمية هى دعوة الصهيونية العالمية التى تريد هدم الأمم المسلمة فى مرحلة ضعفها واحتوائها للسيطرة عليها وتذويبها فى أتون الأممية.

ولا ريب أن حملة سلامة موسى على اللغة العربية العظمى ، والشعر والأدب العربى هى دعوة مبطنة للحملة على الإسلام والقرآن وهى الدعوة التى حمل لواءها لويس عوض من بعد وتؤكد دعوته فى مجموعة موالاة الدعوة الشعوبية التى ترمى من وراء القضاء على العرب وكيانهم إلى القضاء على الإسلام باعتبار أن تلك هى قاعدته الأساسية .

لقد كانت أصدق كلمة لباحث معاصر أنه لم يعرف لسلامة موسى مقال وطنى واحد دعا فيه إلى تحرير مصر من الاستعمار البريطانى .

إن محاولة إعادة سلامة موسى إلى الوجود محاولة باطلة فقد سقطت آراؤه جميعاً وكشفت حركة اليقظة عن زيفها وفسادها .

ما هو رأى مصطفى صادق الرافعى فى سلامه موسى ؟

يقول الأستاذ مصطفى صادق الرافعى :

رأيى فى سلامة موسى معروف . لم أغيره يوماً . فإن هذا الرجل كالشجرة التى تنبت مراً . لا تحلو ولو زرعت فى تراب من السكر . مازال يتعرض لى منذ خمس عشرة سنة . كأنه يلقى على وحدى أنا تبعة حماية اللغة العربية وإظهار محاسنها وبيانها . فهو عدوها وعدو دينها وقرآنها ونبيها . كما هو عدو الفضيلة أين وجدت فى إسلام أو نصرانية .

دعا هذا المخذول إلى استعمال العامية وهدم العربية . فأخزاه الله

على يدى ، وأريته أنه لا فى عيرها ولا نفيرها . وأنه فى الأدب ساقط لا قيمه له . وفى اللغة دعى لا موضع له . وفى الرأى حقير لا شأن له فلما ضرب وجهه عن هذه الناحية وافتضح كيده دار على عقبيه واندس إلى غرضه الدنىء من ناحية أخرى . فقام يدعو إلى (الأدب المكشوف) فأخزاه الله مرة أخرى ولم يزد بعمله على أن انكشف هو . فلما خاب فى الناحيتين . اتجه إلى الشارع الثالث فانتحل الغيرة على النساء والإشفاق عليهن . وقام يدعو المسلمين إلى إبطال حكم من أحكام دينهم وإسقاط نص من نصوص قرآنهم ظناً منه أنهم إذا تجرأوا على واحدة هانت الثانية . وانفتح الباب المغلق الذى حاول هذا الأحمق فتحه طول عمره من نبذ القرآن وترك الاسلام وهجر العربية كأن إبليس لعنه الله قد كتب على نفسه (كمبيالة) تحصه إذن وأمر (سلامه موسى) إذا محيت العربية أو غير المسلمون دينهم أو أبطلوا قرآنهم . فكانت البدعة الثالثة أن يدعو المسلمين جهرة إلى مساواة الرجل بالمرأة فى الميراث . فأخزاه الله .

ثم قام هذا المفتون يدعو إلى الفرعونية . ليقطع المسلمين عن تاريخهم . وظن أنه فى هذه الناحية ينسيهم لغتهم وقرآنهم وآدابهم ، ويشغلهم عنها بالمصرولوجيا ، والوطنولوجيا . ثم أتم الله فضحه بما نشره أصحاب دار الهلال .

ويقول الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني تحت عنوان :

سلامه موسى لابس بشيء إن لم يكن دجالا !!

بضاعته بضاعة الحواة والمشعوذين وله حركاتهم وإشاراتهم وأساليبهم . يزعم نفسه أديباً ، وتعالى الادب عن هذا الدجل . ويدعى العلم ، وجل العلم أن يكون هذا دعاؤه ، ويحاكى الملاحدة ليقول عنه المغفلون أنه واسع الذهن ، وليتسنى له أن يغمز الاسلام ويبسط لسانه فى العرب ، والحقيقة أنه لا أديب ولا عالم ، وإنما هو مشعوذ يقف فى السوق ، ويصفر ويصفق ويصخب ، ويجمع الفارغين حوله بما يحدث من الصياح الفارغ ، والضجة الكاذبة .

لقد آن لمن تعنيهم كرامة الأدب أن يقتلعوا هذه الطفيليات ، وأن يطهروا من حشراتها ولباتها رياضه ، وأن يقصو عن مجاله هؤلاء الواغلين الذين يتخذون أسمى ما فى الدنيا وأجل ما فى النفس طبولا لهم ، ويتذرعون بالتهجم على الدين — على دين واحد فى الحقيقة — وعلى العلم والفلسفة والأدب لنيل ما يستحقون ، ويفسدون عقول الناس ، ويبلبلون خواطرهم بما يغالطونهم فيه ويخادعونهم » .

(٦)

علي عبد الرازق

كتاب الإسلام وأصول الحكم

ليس من تأليفه وإنما هو من تأليف المستشرق اليهودي مرجليوث كان هدف الكتاب ضرب الإسلام في عقيدة من أكبر عقائده، وفريضة من أعظم فرائضه وهو أنه دين ودولة ونظام ومجتمع. ومن ثم فقد عبر الكتاب عن وجهة نظر الاستشراق اليهودي التلمودي الهدام.

وكان الكتاب لعنة على علي عبد الرازق فقد أصاب حياته بالظلام والغربة، فمات الكتاب قبل أن يموت وانطوت صفحته وهو حي، ومازالت قوى التغريب تعيد طبع الكتاب ونشره مع مقدمات ضافية يكتبها كتاب شعوبيون أو شيوعيون يضللون الناس ويخدعونهم بأسمائهم وأقلامهم لاحياء فكرة مسمومة.

صادر القضاء الكتاب وأصدرت هيئة كبار العلماء قرارات بإدانة المؤلف بعد زعم أن نظام الحكم في عهد النبي ﷺ كان موضع غموض وإبهام وموجب للحيرة.

كان السؤال فى الندوة عن دعوى على عبد الرازق فى كتابه «الإسلام وأصول الحكم» التى ما تزال قوى التغريب والغزو الثقافى والماركسيون والشعوبيون تجدد نشرها والحديث عنها بوصفها أسلوباً من أساليب العمل لخداع جماهير المسلمين عن حقيقة دينهم ، وإذاعة مفهوم الدين المبادى القائم على الروحيات والمساجد وإنكار حقيقة الإسلام بوصفه ديناً ومنهج حياة ، ونظام ومجتمع .

ويتقول الادعاء الخبيث الذى يثيره الاستشراق والشعوبيون على أن فى الإسلام مذهبين أحدهما يقول بأن الإسلام دين ودولة والآخر يقول : بأن الإسلام دين روحى ويضعون على عبد الرازق على رأس الفريق الذى يقول هذا القول .

والواقع أن الإسلام ليس فيه غير رأى واحد. وهو الرأى الأول وأن ما ذهب إليه على عبد الرازق عام ١٩٢٥ لم يكن من الإسلام فى شيء ولم يكن على عبد الرازق نفسه إماماً مجتهداً وإنما كان قاضياً شرعياً تلقفته قوى التغريب فاصطنعته تحت اسم « التجديـــد » ودعى على عبد الرازق إلى لندن لحضور حلقات الاستشراق التى تروج للأفكار المعارضة لحقيقة الإسلام وهدم مقوماته وأهدى هذا الكتاب الذى وضع عليه إسمه مترجماً إلى اللغة العربية وطلب إليه أن يضيف إلى مادته بعض النصوص العربية التى يستطيع اقتباسها من كتب الأدب .

أما الكتاب نفسه فكان من تأليف قزم من أقزام الاستشراق

وداهية من رجال الصهيونية واليهودية العالمية هو المستشرق «مرجليوث» الذى تقضى الصدف أن يكون صاحب الأصل الذى نقل عنه طه حسين بحثه عن «الشعر الجاهلى»، والذى أطلق عليه محمود محمد شاكر (حاشية طه حسين على بحث «مرجليوث») ويمكن أن نطلق الآن إسم (حاشية على عبدالرازق على بحث مرجليوث) وقد كشف هذه الحقيقة الدكتور ضياء الدين الريس فى بحثه القيم (الإسلام والخلافة فى العصر الحديث).

وهكذا نجد أن السموم المثارة فى أفق الفكر الإسلامى توضع أساساً من رجال التغريب . ثم تختار لها أسماء عربية لتحمل لواءها وتذيعها إيماناً بأن الاسم العربى أكثر تأثيراً وأبعد أثراً فى خداع الجماهير.

ولقد طالما تحدث التغريبيون عن كتاب «الشعر الجاهلى»، و«الإسلام وأصول الحكم»، على أنهما دعامة النهضة فى الفكر الحديث ونحن نرى أنهما دعامة التغريب التى حاولت خداع جماهير المسلمين عن حقائق الإسلام العظيم.

ومع أن حركة اليقظة الإسلامية واجهت كتاب على عبد الرازق المنحول، وفندت فساد وجهته وأخطائه فإن قوى التغريب ما تزال تعيد نشره وطبعه، مع مقدمات ضافية يكتبها كتاب مضللون شعوبيون يخدعون الناس بألقابهم وأسمائهم . وهم يجدون فى هذه المرحلة التى يرتفع فيها صوت تطبيق الشريعة الإسلامية . والدعوة إلى الوحدة الإسلامية مناسبة لنفث هذه السموم مرة أخرى وإن يجديهم ذلك

نفعاً فإن كلمة الحق سوف تعلو وتنتشر وتدحض باطل المضللين مهما جمعوا له وقدموه في صفحات براقة مزخرفة، وأساليب خادعة كاذبة.

أول من كشف حقيقة الكتاب

إن أول من كشف حقيقة الكتاب هو الشيخ « محمد بخيت » الذي رد على الشيخ على عبد الرازق في كتابه « حقيقة الإسلام وأصول الحكم » وهو واحد من الكتب التي صدرت في الرد عليه حيث قال :

« لأنه علمنا من كثيرين ممن يترددون على المؤلف أن الكتاب ليس له منه إلا وضع إسمه عليه فقط فهو منسوب إليه فقط ليجعله واضعوه من غير المسلمين ضحية هذا العار ، وألبسوه ثوب الخزى إلى يوم القيامة »

وقد علق الشيخ على عبد الرازق على هذا المعنى حين قال للماركسيين الذين اتصلوا به سنة ١٩٦٤ لإعادة طبع كتابه إن هذا الكتاب كان شؤما عليه، وقد ألصق به كثيراً من المتاعب والشبهات. والحقيقة أنه بعد أن طرده الأزهريون من هيئة كبار العلماء ، ظل منفياً ومهجوراً وعاش بقية حياته منقطعاً عن الحياة العامة . بالرغم من أن محاولات جرت لإعادته إلى زمرة العلماء . وإلى مجمع اللغة . فقد كان الكتاب أشبه باللعنة على حياته كلها .

ومن هذا الخيط الرفيع بدأت محاولة الدكتور ضياء الدين الريس فاستطاع أن يصل إلى الحقيقة بأن كاتب الكتاب في الحقيقة هو مستشرق

الهندي يهودي الأصل شن الهجوم على الخلافة لأن بلاده (بريطانيا) كانت في حرب مع تركيا وقد أعلن الخليفة العثماني الجهاد الديني ضدها والنصوص في الكتاب قاطعة بأنه كان موجهاً ضد الخلافة العثمانية .
فإنه يذكر الاسم « السلطان محمد الخامس » الخليفة في ذلك الوقت الذي كان يسكن (قصر يلدز) وهناك نص على « جماعة الاتحاد والترقي » وهي التي كانت تحكم تركيا . أي دولة الخلافة طوال أعوام الحرب العالمية الأولى . ويقول أن الاتحاديين تلاميذ الماسونيين ، وقد تربوا في محافلهم واعتنقوا شعارهم ومفاهيمهم ، وقاموا بدور مسموم وهو فتح باب فلسطين أمام اليهود المهاجرين . وكان السلطان عبد الحميد قد رفض ذلك ، وكانوا هم : أي الاتحاديون أداة الصهيونية العالمية في إسقاط هذا السلطان الشهيد ورجح الدكتور الريس أن مرجليوث اليهودي الذي كان أستاذاً للغة العربية في أكسفورد ببريطانيا هو كاتب الكتاب . لأن آراء الكتاب هي آراؤه التي كتبها من قبل عن الدولة الإسلامية ، وفندها الدكتور الريس في كتابه (النظريات السياسية في الإسلام) وأثبت خطأها وبطلانها بالأدلة العلمية . وهو يكتب عن الإسلام بنزعة حقد شديد ، ويتسم أسلوبه بالمغالطات والمعلومات المضللة والقدرة على التمويه . كما يتصف بالالتواء . وهذه الصفات كلها تظهر في هذا الكتاب المنسوب إلى الشيخ عبد الرازق . ومعروف أن الشيخ علي عبد الرازق ذهب إلى بريطانيا وأقام فيها عامين . فلا بد أنه كان متصلا بالمستر مرجليوث ، أو تتلمذ عليه . وكذلك توماس أرنولد الذي يشير إليه الشيخ ويصفه بالعلامة قد ألف كتابا عن الخلافة بوجه

عام ، والعثمانية بوجه خاص . وقد نقدناه (يقول الدكتور الريس) فى كتابنا « النظريات السياسية الإسلامية » .

والقصة تتلخص فى أنه أبان الحرب العالمية الأولى والحرب دائرة بين الخليفة العثمانى وبريطانيا أعلن الخليفة الجهاد الدينى ضد بريطانيا ودعا المسلمين أن يهبوا ليحاربوها ، أو يقاوموها . وكانت بريطانيا تخشى غضب المسلمين الهنود بالذات أو ثورتهم عليها . فى هذه الفترة كلفت المخابرات البريطانية أحد المستشرقين الانجليز أن يضع كتاباً يهاجم فيه الخلافة وعلاقتها بالإسلام ، ويشوه تاريخها ليهدم وجودها ومقامها ونفوذها بين المسلمين . وقد استخدمت السلطات البريطانية هذا الكتاب فى الهند وفى غيرها . وبعد أن انتهت الحرب كان الشيخ عبدالرازق قد اطلع على هذا الكتاب أو عثر عليه . هذا إن لم يفترض أن هذا كان باتفاق بينه وبين هذا المستشرق الذى اتصل به حينما كان فى انجلترا أو فى بعض الجهات البريطانية التى كانت تعمل فى الخفاء للقضاء على فكرة الخلافة ، أو التى تحارب الإسلام. فأخذ الكتاب فترجم إلى اللغة العربية ، أو أصلح لغته إن كان بالعربية ، وأضاف بعض الأشعار أو الآيات القرآنية التى تبدو أنها لم تكن فى أصل الكتاب وبعض الهوامش والفقرات ، وأخرجه للناس على أنه كتاب من تأليفه ظنا منه أنه يكسبه شهرة . ويظهره باحثاً علمياً ، ومتفلسفاً ذى نظريات جديدة . غير مدرك ما فى آرائه أو فى ثناياه من خطورة . ولا يستغرب هذا لأنه لم يدرك أن إنكار القضاء الشرعى هو إنكار لوظيفته نفسها

وعمله ، وإلغاء لوجوده وكانت هذه هي البدعة السائدة في ذلك الوقت بين كتاب (السياسة) جريدة من أسموا أنفسهم « حزب الأحرار الدستوريين » وهذا هو الذي فهمه (أمين الرافعي) فكتب في جريدة الأخبار أنه لم يستغرب أن يقدم الشيخ علي عبد الرازق على إصدار هذا الكتاب لما عرفه عنه من الضعف في تحصيل العلوم ، والالحاد في العقيدة . ثم قال : هذا إلى أنه انغمر منذ سنين في بيئة ليس لها من أسباب الظهور سوى الافتئات على الدين ، وتقمص أثواب الفلاسفة والملحدين ، وصار خليفاً باسم (الأستاذ المحقق) والعلامة الكبير .

ولم يعرف الأستاذ الرافعي أن المؤلف الحقيقي ربما كان غير الشيخ عبد الرازق . ولكن كلامه يكاد يكون إثباتاً لذلك . وهناك قرائن أخرى .

أولا : ذكر اسم كتاب مترجم عن التركية طبعة ١٩٢٤ . بينما هناك فقرة تنص على أن تاريخ التأليف قبل عام ١٩١٨ . وأنها ذكرت اسم السلطان محمد الخامس وقيل في الهامش أنه كتاب في عهده . وأقرب تفسير لذلك أن الكتاب ليس من تأليف شخص واحد .

ثانياً : يتحدث المؤلف عن المسلمين كأنه أجنبي عنهم وهم منفصلون عنه . فيذكرهم بضمير الغائب ولا يقول عندنا أو العرب . أو نحو ذلك كما يقول المسلم عادة .

ثالثاً : يكرر الشيخ عبد الرازق (عيسى وقيصر مرتين) . ويكرر هذه الجملة التي يسميها الكلمة البالغة « دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله » مع أن أي مسلم صحيح الاسلام لا يمكن أن يؤمن بهذا التعبير . وأن قيصر وما لقيصر لله رب العالمين .

رابعاً : يتعاطف مع المرتدين الذين خرجوا على الإسلام ، وشنوا الحرب على المسلمين . فيدافع عنهم . في نفس الوقت الذي يحمل على رأي أبي بكر الصديق المسلم الأول بعد رسول الله ﷺ فينكر خلافته . ويقول إن محاربته لهؤلاء المرتدين لم تكن حرباً من أجل الدين . ولكن نزاعاً في ملوكية ملك ولأنهم (رفضوا أن ينضموا لوحدة أبي بكر) وما هي وحدة أبي بكر يا عدو أبي بكر والإسلام . . أليست هي وحدة المسلمين . ويقول « حكومة أبي بكر » أو ليست هي حكومة الاسلام والمسلمين . ويتكلم عن أبي بكر هكذا بغير احترام أو تبجيل . كأنه رجل عادى . أو كما يتكلم عدو .

هل هذا هو أسلوب المسلم . فضلا عن الشيخ . في الكلام عن الصحابة . وعن أفضل الناس وأحبهم إلى رسول الله ﷺ وخير من دافعوا عن الإسلام ، وجاهدوا في سبيل الله عز وجل .

خامساً : أن الأسلوب الذي كتب به الكتاب أسلوب غريب . ليس مألوفاً في الكتب العربية . فهو أسلوب مناورات ومراوغة ، ويتصف بالالتواء واللف والدلو والدوران . فهو يوجه الطعنة أو

يلقى بالشبهة ثم يعود فيتظاهر بأنه ينكرها ولا يوافق عليها ويفلت منها ثم ينتقل ليقذف بشبهة أو طعنة أخرى على طريقة (اضرب واهرب) وحين يهاجم يصوغ عباراته فى غموض . وهذا يدل على أسلوب رجل سياسى متمرن فى المحاورة والمخادعة . وهو اشبه بالأسلوب الافرنجى ، وأسلوب الدعايات السياسية ، أو الدينية التبشيرية . وليس هو أبداً الأسلوب العربى الصريح . فضلا عن أسلوب أحد الشيوخ المتعلمين فى الأزهر . وهذا مما يغلب الرأى بأنه كتاب مترجم .

سادساً : لم يعرف عن الشيخ على عبد الرازق — من قبل — أنه كان كاتباً تمرس فى الكتابة ، ومرن على التأليف . . فيكتب بهذا الأسلوب ، ويتعمد الطعن فى الإسلام وتاريخه وعظماء رجاله .

ولم يعرف للشيخ كتاب أو مقالات قبل هذا الكتاب (أى فى السياسة والتاريخ) بل كل ما كتب من قبل كان (كتيباً) فى اللغة أو فى علم البيان وهذا كل إنتاجه فى أربعة عشر عاماً بعد تخرجه من الأزهر ، ثم بعد أن كتب هذا الكتاب ظل أربعين عاماً لم يكتب كتاباً آخر فى نفس موضوعه أو مثله ، ولم يحاول أو لم يستطع حتى أن يدافع عن نفسه ويرد على خصومه بكتاب آخر .

سابعاً : هناك من القرائن والأدلة العديدة ما يدعو العقل إلى أن يرجح صحة الخبر الذى رواه فضيلة المفتى الشيخ محمد بخيت نقلا عن كثيرين من أصحاب الشيخ على عبد الرازق المترددين عليه من أن

مؤلف الكتاب شخص آخر من غير المسلمين . وقد غلبنا نحن أنه أحد المستشرقين .. ولكننا نقيد هذا الخبر بأن الشيخ قد أضاف بعض فقرات وتعليقات ، وأنه هو الذى أورد الآيات من القرآن .. والظاهر أنها محشورة حشراً مجموعات فى مكان واحد وأبيات الشعر التى استشهد بها . كما كتب المقدمة التى زعم فيها أنه بدأ البحث فى تاريخ القضاء منذ سنة ١٩١٥ . وذلك ليغطى المفارقة الظاهرة بين وضع الكتاب ووقت صدوره . فإنه من غير المعقول أن يستغرق تأليف كتيب لا يزيد عن مائة صفحة عشر سنوات .

ثامناً : كانت هناك أسباب ودوافع مختلفة دفعت الشيخ إلى إصدار هذا الكتاب . ولكن كان أقواها فى نهاية الأمر حب الظهور والرغبة فى الشهرة ، وأن يوصف بأنه باحث أو محقق أو مجدد . كما فعل غيره من قبل .. ونحن نعرف أن مسألة انتحال الكتب ، أو عدم الأمانة فى نسبة الأمور والمعلقات مسألة مألوفة فى الشرق .. ولا سيما فى النقل من الكتب الأجنبية .

وفى مثل هذه المسائل بالذات . فإن هذه الحالة أسهل .. لأن النقل أو الترجمة من كتيب مجهول . أو كانت المسألة بتصريح أو اتفاق لخدمة غرضين فالطرف الأول يريد نشر آرائه لغايات سياسية ودينية والطرف الثانى له مآرب سياسى . ولكن الدافع الذاتى إنه يريد الشهرة أو الظهور أو الغرور .

من تقرير هيئة كبار العلماء

فى كتاب « الإسلام وأصول الحكم »

والخلاصة أنه إذا رجعنا إلى هدف الكتاب الحقيقى وجدناه يتمثل فى الحقائق التالية كما فصلها تقرير هيئة كبار العلماء :

أولا — جعل المؤلف الشريعة الإسلامية روحية محضة .. لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ فى أمور الدنيا مع أن الدين الإسلامى على ما جاء به النبى ﷺ من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة . وأن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة فى أمور الدنيا ، وأحكام كثيرة فى أمور الآخرة .

ثانياً : زعم أن الدين لا يمنع من أن جهاد النبى ﷺ كان فى سبيل الملك . لا فى سبيل الدين ، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين .

ثالثاً : زعم أن نظام الحكم فى عهد النبى ﷺ كان موضع غموض وإبهام ، أو اضطراب أو نقص ، وموجباً للحيرة .

رابعاً : زعم أن مهمة النبى ﷺ كان بلاغاً للشريعة . مجرداً من الحكم والتنفيذ .

خامساً : أنكر إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام ، وعلى أنه لا بد لسلامة من يقوم بأمرها فى الدين والدنيا .

سادساً : أنكر أن القضاء وظيفة شرعية . وقال : إن الذين ذهبوا إلى أن القضاء وظيفة شرعية جعلوه متفرعا من الخلافة .

سابعاً : زعم أن حكومة أبى بكر والخلفاء الراشدين من بعده (رضى الله عنهم) كانت لا دينية . وهذه جرأة لا دينية .

وهكذا تتكشف تلك المؤامرات الخطيرة التى استغلها الاستشراق وبعض التغريبيين خصوم الشريعة الاسلامية القول بأن هناك رأيين : بينما لا يوجد فيه مفهوم واحد . هو أن الاسلام دين ومنهج حياة ونظام مجتمع . وأن ماقال به على عبدالرازق هو وجهة نظر الاستشراق الصهيونى التلمودى الهدام . . وأنه ليس رأى أى مجتهد أو عالم أو إمام فى الاسلام . وأن على عبد الرازق لم يكن إلا مضللا أو مخدوعا .

(٧)

ساطع الحصري

سقطت نظرية ساطع الحصري فيلسوف القومية العربية ، لأنها قامت على أساس التفسير الغربي للتاريخ ، ففصلت العروبة عن الإسلام وهو أول من جعل العنصرية والعرق والدم بديلا لمفهوم الإسلام الذى يقوم على الاخاء الانسانى ، وهو أول مسئول عن التعليم العالى التركى فى الوزارة التى شكلها الاتحاديون بعد سقوط الخلافة مباشرة وأول من صرح بأن قومية إسرائيل تقوم على الدين وأن الاسلام دين تعبد وينكر أنه نظام حياة ومجتمع ، والحقيقة أنه ما ذنب العروبة والاسلام إذا كان ساطع الحصرى غربى الفكر والذوق أعجمى النطق يتجاهل أن لغتنا لغة فكر وعقيدة وأن ديننا يجمع بين المادة والروح وبين العقل والقلب وبين الدنيا والآخرة .

حدثني الدكتور مختار الوكيل مدير مكتب الجامعة العربية في جنيف ، وهو رجل صادق مؤمن ، أنه في خلال عمله زار الأستاذ ساطع الحصري في سويسرا ورأى السيد عبد الفتاح حسن السفير المصري دعوته إلى طعام الغداء فلما قدم مع الدكتور الوكيل حياه السفير المصري فقال :

« مرحباً بالمناضل الكبير في خدمة العروبة والاسلام » وقد عجب الرجلان من ساطع الذي رد في عنف وحدة :

« عرب نعم .. إسلام لا .. أنا لايك .. أنا لايك » .

وكلمة « لايك » تعني أن صاحبها علماني أو لا ديني .

* * *

ما تزال ندوة الاعتصام تركز على تاريخ الاسلام والعرب المعاصر وعلى الأعلام البارزين : سعد زغلول ، لطفي السيد ، ساطع الحصري إلخ وقد أحرز ساطع الحصري شهرة وافرة في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية باعتباره « فيلسوف القومية العربية » حيث روج لنظرية خطيرة كانت بعيدة الأثر في حجب مفهوم العروبة الأصيلة المرتبطة بالاسلام فكراً وعقيدة ، وبالعالم الاسلامي تكاملاً وإخاء .. لقد كان دعاة حركة اليقظة في البلاد العربية يرون أن الجامعة الاسلامية قائمة بين العرب والمسلمين (فرساً وتركاً) بعد زوال الدولة العثمانية . ولكن ساطع

الحصرى كان من أوائل الدعاة إلى فصل العرب عن المسلمين بمفهوم القومية الغربى الوافد الذى طرحه فى أفق الفكر السياسى العربى . وهذا يرجع إلى أن ساطع الحصرى كان ثمرة من أنضج ثمار المدرسة الاتحادية التركيه ، وأكبر الدعاة الذين نقلوا مفهوم القومية الطورانية التركية إلى أفق العروبة التى كانت ترتبط بمفهوم الإسلام فى العلاقة بين الشعوب التى جمعها التوحيد والقرآن ونبوة محمد ﷺ والفكر الاسلامى الأصيل .

لقد كان ساطع الحصرى مديراً للتعليم فى الدولة الاتحادية التى حكمت تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد بمفهوم العلمانية والطورانية .

وقد تعلم فى مدرسة الاتحاديين ، وآمن بفلسفتهم ، ونقل فكرهم ومضامينهم إلى العرب ، وذلك فى سبيل تمزيق الوحدة الاسلامية الجامعة عرباً وتركاً وفرساً ، وخلق أسلوب القوميات والاقليميات التى تقوم على الصراع والاستعلاء بالجنس والعنصر .

وهو أول من حمل لواء العنصرية والعرق والدم بديلا لمفهوم الاسلام الذى يقوم على الأخاء الانسانى . وقد كان فلاسفة الفكر القومى التركى من الاتحاديين تلاميذ لفلسفة الوضعية متشبعين بالنزعة الطورانية العدوانيه . وقد استمد ساطع الحصرى مفهومه للعروبة من

مفهوم القومية الغربية ، والنظرية التى طبقها الاتحاديون فى تركيا . . فقد ركز على اللغة والتاريخ وعزلها عن الفكر الاسلامى الجامع ككل كما ركز طه حسين على الأدب وعزله عن وحدة الفكر الاسلامى .

ونظرية ساطع الحصرى التى روجت لها بعض الأحزاب السياسية العربية قد أثبتت خلال أكثر من ثلاثين عاماًفشلها الذريع ، وعجزها عن العطاء ، لأنها فرغت مفهوم العروبة من قيمه وتاريخه وعناصره الأخلاقية والروحية وجعلته مفهوماً مادياً خالصاً .

وقد اعترف ساطع الحصرى بأن إسرائيل قومية تقوم على الدين ورفض اعتبار الاسلام مقوماً بوصفه ديناً . ذلك أن مفهوم ساطع الحصرى للإسلام ناقص ، فهو يراه ديناً لاهوتياً وليس ديناً ومنهج حياة ونظام مجتمع على النحو الذى يؤمن به دعاة العروبة الاسلامية .

لقد فهم الاسلام على أنه « دين عبادى » كما فهم الأوربيون المسيحية ، ولم يفرق بين الدين بعامة والاسلام ، ولم يفرق بين العصر والبيئة والجذور الثقافية التى يختلف فيها عن مفهوم القومية فى أوربا . ولقد كان مفهومه للعروبة ناقصاً . فلم يصل إلى مفهوم العروبة المترابط مع الاسلام ، هذا الترابط الجذرى الذى لا سبيل للانفكاك عنه .

ويرى كثير من الباحثين أن ساطع الحصرى لم يعايش المناخ العربى

قبل أن يضع مجموعة آرائه، وأنه استهدى بمناخ البلقان والنظرية الألمانية فى حركته القومية التى رفع فيها شعار اللغة فى مواجهة الدولة العثمانية للتحرر منها. وأنه كان حاقداً على الترك حقد المحافل الماسونية التى احتضنت الاتحاديين ووجهتهم وجهتها، ودفعتهم إلى الدعوة إلى الذئب الأغبر كرمز لها بديلا للقرآن .

وقد كان أكبر أساتذته فى مفهوم القوميات « ماكس مولر » « ولوردو » وهما فيلسوفان يهوديان قصدا من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القومية اليهودية .

وقد اعتبر ساطع الحصرى اللغة أساس القومية ، وعارض نظرية الأرض التى دعا إليها أنطون سعادة دون أن يفتنه إلى أن الفكر لا اللغة هو مصدر الوحدة .

وقد أجرى ساطع الحصرى الجدل حول عديد من النظريات الأوربية فى القومية دون أن يواجه جوهر المفهوم العربى الاسلامى المصدر والجذور. هذه الجذور التى تجعل من العسير فصل اللغة عن الفكر واعتبارها مقوماً منفصلا، أو الاعتماد على نظرية بقاء اللغة أو ضياع اللغة مع أن الأساس هو بقاء للعقيدة والفكر الذى يحمى وجود الأمة الحقيقى .

والواقع أن ساطع الحصرى كان غربى الفكر أساساً بل وغربى

الذوق أعجمى النطاق ، وأن تركيبه الثقافى والاجتماعى يحول بينه وبين تبنى نظرية عربيه أصيلة مستمدة من واقع الأمة العربية وكيانها ، وذاتيتها وقيمها التى لا تنفصل فيها اللغة والتاريخ عن الفكر نفسه . وفى ذلك مغالطة أو جهل . ذلك أن اللغة العربية ليست لغة أمة فحسب ولكنها فى نفس الوقت لغة فكر وعقيدة فإذا كان العرب وهم مائة مليون يتحدثون بها فإنها لغة العقيدة والفكر لآلاف مليون من المسلمين مرتبطين بالقرآن الكريم والسنة الشريفة ، وذلك التراث الضخم من الفقه والعلم والتاريخ . وأن اللغة لا تنفصل عن الفكر وأن تاريخ العرب لا ينفصل عن تاريخ الاسلام .

ومرجع ذلك إلى أن ساطع الحصرى نشأ — كما ذكرنا — فى بيئة الاتحاديين الأتراك الذين كانوا صنائع الفكر الغربى ، والذين نشأوا فى أحضان المنظمات الماسونية ، وحملوا لواء الإيمان بالفصل من الدين والمجتمع ، وفهموا الاسلام فهما غربياً على أنه دين لاهوتى .

وعلى هذا الفهم الخاطىء القاصر قامت نظرية ساطع الحصرى التى لمعت سنوات تحت تأثير الخداع والأهواء حتى أن بعض دعاة الماسونية فى العالم العربى راح يفسر عن طريقها تاريخ الاسلام كله فيرى أنه تاريخ قومى عنصرى عربى . ومن ثم وجهت عبارات الحقد والخصومة إلى الأمة الاسلامية ، وهذا هو الثمرة الحقيقية التى تهدف إليها حركة الغزو الثقافى والتغريبى من طرح هذه النظرية

القومية، الاقليمية الضيقة العدوانية الوافدة. بديلا عن المفهوم الأصيل للعروبة فى إطار الاسلام كما كان يفهمه شكيب أرسلان ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب وحسن البنا ومصطفى السباعى ومحمد المبارك .

هذه النظرية المضطربة التى خدع بها ساطع الحصرى الكثيرين، والتى سايرها كثير من المثقفين قبل أن يعرفوا سمومها العميقة. فلما عرفوها هاجموها وكشفوا زيفها .

والنظرية مضطربة من أساسها. ولو كان ساطع الحصرى حسن النية لصحح موقفه من فهم الدين فهماً غربياً لاهوتياً وفهم الاسلام بمعناه الجامع بين العقيدة ونظام المجتمع. لقد اعتمد أساس نظرية مفهوم الدين اللاهوتى بمفهوم أوربا والغرب للدين، ولذلك عجزت النظرية عن أن تنجح فى إطار الفكر الاسلامى، بل إن كل العناصر التى عالجها كانت عناصر البيئة الغربية فى مواجهة الصدع بين الجامعة المسيحية الأوربية وبين القوميات الأقليمية والتى كانت وراءها اليهودية الصهيونية لتمزيق هذه الوحدة والسيطرة على كل قطر على حدة. وهو نفس ما أرادته بالنسبة للجامعة الإسلامية التركية التى وقفت أمام دخول الصهيونيين إلى فلسطين وموقفهم من السلطان عبد الحميد واضح معروف .

إن كل التحديات التى تعالجها نظرية القومية الوافدة لا توجد أساساً فى المناخ الإسلامى . هذا فضلا عن اختلاف مفهوم (العروبة) عن مفهوم القومية فى الغرب فضلا عن اختلاف مفهوم الاسلام عن مفهوم الدين بصفة عامة .

ومصدر خطأ ساطع الحصرى أنه عجز عن فهم أبعاد الفكر الاسلامى وأعماقه ، وعلاقة العرب بالاسلام ، وعاش فى مؤلفاته خادماً لنظرية القومية الأوربية الوافدة التى قدمها النفوذ الأجنبى من بين ما قدم ليحطم الوحدة العربية الاسلامية الجامعة بعد أن عجز عن فرض الاقليميات القائمة على التاريخ القديم كالفرعونية والفينيقية والآشورية والبابلية .

وذلك أنه لما رأى هذه المحاولات تتهاوى ورأى أن العرب يتجهون إلى الوحدة أراد أن يفرغ هذه الوحدة من مضمونها العقائدى الجامع بين الروح والمادة والعقل والقلب والدنيا والآخرة إلى مفهوم اقتصادى مادى صرف ، وبذلك فشلت نظرية القومية الوافدة كما فشلت مناهج التعليم الغربى ، والقانون الوضعى وأسلوب التنظيمات السياسية الليبرالية وغيرها .

ولقد وقف ساطع الحصرى فى وضوح موقف الخصومة والحقد

والتعصب على الاسلام كلما عرض له ، وقد تجاهله طويلا فى أعماله كأن العرب لم يعرفوه خلال تاريخهم الطويل . وكانت محاولاته للفصل بين اللغة العربية والفكر الاسلامى من ناحية . وبين تاريخ العرب وتاريخ الاسلام محاولة ساذجة . ثم كشف نفسه وأسقط مكانته كاملة حين اعترف بالقومية اليهودية القائمة على الدين ، بينما عارض عنصر الدين فى فهم القومية العربية وإن كانت كلمة (دين) لا تؤدى معنى الإسلام حين يكون البحث حول العروبة .

وقد ثبت أن ساطع الحصرى قد خدم بدعوته وفكره مفاهيم الماسونية والنظرية القومية الوافدة التى كان النفوذ الغربى حريصاً على تلقينها للعالم العربى . وهى ليست إلا صورة مفهوم الاقليمية اللبنانية والمعروف أن ساطع الحصرى كان من أعمدة وزارة المعارف فى تركيا منذ أوائل حكم الاتحاديين فى تركيا العثمانية إلى أن انتهت الحرب الأولى . وإنه كان من أخطر الموجهين للبرامج التربوية والتعليميه فى العراق . حيث عمد إلى فصلها عن الاسلام فصلا تاماً . وكان دوره أشبه بدور الدكتور طه حسين فى التعليم المصرى .

لقد حاول ساطع الحصرى أن يقيم (فكراً عروبياً إقليمياً) منفصلا عن الاسلام فى روحه ومضامينه وشريعته . ولقد تجاهل

أعماق الأثر الذى تركه الإسلام فى الفكر والثقافة ، واللغة والتاريخ وتجاهل أثر القرآن الكريم فى اللغة العربية وفى العرب ، ومدى ترابط ذلك إلى أكثر من ثلاثة آلاف سنة بالأمة الوسطى الحنيفية السمحاء التى جاء بها إبراهيم عليه السلام فربطت هذا العالم الوسط (عالم العرب والاسلام) بروابط تاريخية وثقافية عميقة دعمتها الأديان السماوية التى نزلت فى أرض الرافدين ، وختمتها رسالة الإسلام العالمية التى نزلت فى الجزيرة العربية .



(٨)

محمد التابعى

الرجل الذى أنشأ صحافة البحث وراء أسرار البيوت والذى نقب عن خفايا الأسر والأعراض ، وهو الرجل الذى دعا رجال الثورة إلى ديكتاتورية الحزب الواحد وحرض على الدعاة إلى الله بالقتل والإبادة .

انتهت حياة الرجل الذى كان له أكبر الأثر فى إنشاء الصحافة الهزلية : الكاريكاتير الساخر ، والبحث خلف أسرار الناس والتطلع إلى ما وراء الأبواب المغلقة. ذلك هو الأستاذ محمد التابعى الذى تصدر هذا الفن فى الصحافه المصرية الحديثة منذ عام ١٩٢٦ حينما تولى إصدار مجلة « روز اليوسف » مع السيدة فاطمة اليوسف صاحبة هذه المجلة ، ثم انفرد بهذا الفن حين أصدر مجلة آخر ساعة عام ١٩٣٤ وكانت فنون الكاريكاتير السياسى والسخرية قد بدأها « سليمان فوزى » صاحب الكشكول التى كانت تحمل على حزب الوفد حملات قاسية مما دعا مكرم عبيد إلى اقتناص محمد التابعى ليحمل لواء هذا الفن للدفاع عن الوفد بنفس أسلوب الصحافة الهزلية والكاريكاتير والسخرية من كل القيم والإيغال فى مهاجمة كل الأخلاقيات واقتحام أسوار الأسر والبيوت لابتداع فن الخبر الاجتماعى المثير الذى كان سلاحاً قاسيا فى ضرب السياسيين القدامى ورجال الأحزاب بعضهم ببعض .

وقد بلغ الأستاذ محمد التابعى بإشرافه على مجلة روز اليوسف قمة التعريض والهجاء والنقد اللاذع عن طريق الخبر والكلمة والصورة .

وقد بدأ التابعى عمله فى الصحافة ناقداً مسرحياً ثم تحول إلى التعليق السياسى وعندما حوكم وصدر الحكم عليه بالحبس ستة أشهر مع إيقاف التنفيذ لم يكن ذلك فى سبيل الدفاع عن حقوق وطنية وإنما كان من أجل مقالات عن مغامراته فى أوربا تحت عنوان (ملوك

وملكات أوربا تحت جنح الظلام) . يقول الصحفى المعاصر محمد على غريب : إنه لما كانت توجد مجلة الكشكول وقد تخصصت فى مهاجمة سعد زغلول ولقيت الرواج العجيب ، لذلك صح الرأى فى أن تصبح روز اليوسف مجلة سياسية واستطاع التابعى أن يجهز على مجلة الكشكول وقد عرف أسلوب التابعى بالسخرية القاسية والدعابة العنيفة .

ويعد محمد التابعى صاحب هذه المدرسة التى سارت عليها من بعد كل صحف الكاريكاتير فى مقدمتها روز اليوسف ، وأخبار اليوم .. ويعد مصطفى أمين ومحمد حسنين هيكل وإحسان عبد القدوس من تلاميذ هذه المدرسة العتيدة . وقد تعود التابعى كما كتب على أمين فى آخر ساعة ألا يعود من الخارج إلا ليحزم حقائبه لرحلة جديدة حتى إنه لم يكن يستقر فى مصر أكثر من شهرين فى السنة فيقضى الشتاء فى سان مورتز والربيع فى باريس ومونت كارلو، والصيف بين رأس البر والاسكندرية وإيطاليا ، والخريف فى القاهرة ليستريح من عناء رحلات الشتاء والربيع والصيف .. وأنه يوماً فى جزيرة كابرى ويوماً فى مونت كارلو وأنه يسافر ومعه أكثر من عشرين حقيبة ملابس الصيف والشتاء والربيع والخريف وملابس للصبح والضحى وبعد الظهر والمساء والليل وأنه ينزل فى الجناح الملكى لفندق سوفرليا .

وقد دمغ القضاء المصرى صحافة الكاريكاتير الهزلية هذه فى كثير من المحاكمات التى قدم لها التابعى بأنها « تنشر فاحش القول

وسقطه وإنها غالت فى الاقذاع فى الناس ، والبحث وراء أسرارها فى تعريض وتلميح ، وإن أصحابها يغمسون أقلامهم فى السموم القاتلة والتصاوير الخلاعية التى كان لها أسوأ الأثر فى قرائها من الشبان المراهقين . وكان التابعى حريصاً على فضح أسرار الأسر والبيوت وكشف خفاياها وأعراضها لحساب الخصومة الحزبية » .

هذا هو الأثر الأول والضخم فى حياة محمد التابعى الذى نماه من بعده وطوره أتباعه وتلاميذه وحواريوه بكل الدور الصحفية تقريباً والذى كان ولا يزال بعيد الأثر فى الصحافه المصرية الحديثة . وما كتابات إحسان عبد القدوس التى ينشرها بالأهرام هذه الايام عنا ببعيد .

أما الأثر الثانى فى حياة محمدالتابعى فهى،وقفه الخطير فى التحريض على الدعاة فى سبيل الله ورجال الدعوة الاسلامية كراهية فى تطبيق الشريعة الاسلامية ، وعملا على تدمير القوى المؤمنه التى تحمل لواء الدعوة إلى تحرير الحياة الفكرية والاجتماعية من التحريض على الفساد والشهوات والصور العارية والقصص الماجنة وغيرها من الأساليب التى كان يعمل لها أصحاب التابعى وتلاميذه وهم يبثون فى ثنايا كتاباتهم ذلك اللون الخطير الذى أريد به إفساد شباب الأجيال وتدميرهم وانحلالهم .

وقد وقف محمد التابعى مرتين موقف التحريض على « جماعة

الإخوان المسلمين ، فى محاولات الحل الذى تعرضت له مرتين عام ١٩٤٩ وعام ١٩٥٤ . وفى كل مرة كان قاسياً على أهل القرآن ، متهماً إياهم بكل نقيصة ، محرضاً عليهم بالقتل والسحق والإبادة حتى لا يجد قلماً أو لساناً ينقد تصرفه الفاسد ودعوته الضالة .

أما الأثر الثالث الذى يوضع فى ميزان أعماله عند الحساب فهو دعوته الحادة المسمومة إلى ديكتاتورية « الحزب الواحد » وتنكره لكل أساليب الديمقراطية والنظم التى تسمح بالرأى الآخر أو وجهة النظر الأخرى . . وقد غالى التابعى فى الدعوة إلى الحزب الواحد وأغرى به حكام مصر فى فترة من أدق فترات التاريخ السياسى كان المصريون يتطلعون فيها إلى نظام دستورى يحقق الشورى والعدل ، فإذا به يظاهر دعوة الدكتاتورية القابضة على الرقاب والعقول والنفوس فكانت تلك هى آخر كلماته التى عارضه فيها أقرب الناس إليه وتلميذه الأثير « مصطفى أمين » . ثم أصابت التابعى على إثر ذلك ضربة القدر التى لا تتخلف إزاء كل ظالم ومدمر لقيم هذه الأمة وأخلاقها .

(٩و١٠)

مدحت وأتاتورك

المؤامرة على تركيا الخلافة مؤامرة على الإسلام بدؤها مدحت .
ووسطها الاتحاديون . وختامها أتاتورك .

« الرد على عبد الحميد الكاتب »

لماذا هذا الحقد الشديد البالغ من أقلام عربية لكتاب مسلمين جغرافياً على الخلافة الإسلامية والجامعة الاسلامية والوحدة الإسلامية والتضامن الاسلامي الذي تشرق في هذه الأيام شمسه وتبدو علاماته وتعلو راياته بعد أن تعددت كتابات الكتاب عن الصحوة الاسلامية ولماذا يوصف عمل مصطفى كمال أتاتورك بإسقاط الخلافة الإسلامية بأنه « ضربة موفقة » أو قول أحد المؤرخين الشعوبيين : « وهكذا سقطت الخلافة الاسلامية إلى الأبد » !

وقد نسي هؤلاء وأولئك حديث رسول الله ﷺ : « إن أول دينكم نبوة ورحمة تكون فيكم ماشاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم يكون ملكا عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعه الله جل جلاله . ثم يكون ملكا جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها الله جل جلاله . ثم تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة تعمل في الناس بسنة النبي ويلقي الاسلام بجرانه على الأرض يرضى عنها ساكن السماء وساكن الأرض . لا تدع السماء من قطر إلا صبته مدراراً ، ولا تدع الأرض من نباتها وبركاتها شيئاً إلا أخرجته » وما ينطق عن الهوى . وهذا الحديث الصحيح يؤكد عودة الخلافة الاسلامية مرة أخرى على نحو أوثق صلة بحكم الله ونظامه الذي جاء به القرآن الكريم . ولقد كان سقوط الخلافة الاسلامية « حدثاً » خطيراً لم يكتب عنه بعد ، وكان له أثره في نفوس العاملين

فى حقل اليقظة الاسلامية . وقد كان مصدراً لقيام المفهوم الصحيح للإسلام بوصفه منهج حياة أو نظام مجتمع . وما من دعوة إسلامية إلا وقد أخذت على أهلها العهد بالعمل لعودة الخلافة الاسلامية متى جاء أوانها ، وما تزال الحركات الاسلامية كلها عاملة على هذا النهج ، سائرة فى هذا الطريق .

ولا ريب أن قيام عدد من المنظمات الاسلامية العالمية هى بشائر الخير فى هذا الطريق . فإن الدعوة إلى قيام الجامعة الاسلامية أصبح اليوم عملا ضرورياً بعد أن فسدت الدعوات الاقليمية والقومية ، وفى مقدمتها الجامعة العربية . ولا بد للمسلمين من أن يصلوا إلى الطريق الحقيق لمواجهة تآمر الغرب والصهيونية والشيوعية عليهم وهو إحياء جامعتهم وإقامة خلافتهم .

معلومات مسمومة :

ولست أدرى لماذا هذا الاهتمام بإعادة طرح معلومات مسمومة كاذبة مضللة انتشرت زمناً وكانت أشبه بالمسلمات ، روجها اليهود والمارون ثم تبين زيفها وتكشفت الحقائق التى تدحضها ؟ !

لماذا العودة إلى الزيف بعد أن ظهرت الحقائق ؟ !

ولماذا الادعاء بأن مدحت مصلح ، وأن مصطفى كمال أتاتورك مجاهد ؟ ! !

والحقيقة أن الرجلين ومن بينهما من رجال « الاتحاد والترقى » هم عملاء للنفوذ الأجنبى والصهيونية . لقد تكشفت هذه الحقائق فى العالم الاسلامى كله ولم يعد فى إمكان كاتب ما أن يضلل الناس بإعادة هذه الأكاذيب ورصفها، وخداع الناس فى أمر رجل كان والده حاخاماً يهودياً مثل « مدحت » أو رجل هو من الدونمة أصلا مثل «أتاتورك» إن الدعاوى الصهيونية والغربية قد خدعت المسلمين طويلا بتزييف « صفحة الدولة العثمانية » والسلطان عبد الحميد من أجل هدف معروف وواضح هو إسقاط هذا السلطان ، وإزالة الدولة العثمانية وهدم الخلافة الاسلامية لتمكين الصهيونية العالمية من الوصول إلى فلسطين ، والاستقرار فى القدس ! !

لقد كان أتاتورك والاتحاديون هم مادة تجربة جديدة فاسدة أريد بها القضاء على النظام الاسلامى وهدم الشريعة الاسلامية وإقرار نظام العلمانية والمادية والوثنية فى المجتمع والتربية والسياسة فى البلاد الاسلامية ، ومحاولة لجعله مثلا أعلى للتقدم والتجديد . ثم جاءت أحداث التاريخ بعد خمسين عاماً لتكشف زيف هذه المحاولة وفسادها بعد أن تعددت حلقات هذا الغزو التغريبى الذى جاءت ثورة إيران اليوم بمثابة الدليل الأكيد على فساد هذه التجربة وعلى سقوط هذا المنهج ومؤكدة بأن المجتمع الاسلامى الأصيل القائم على فكرة التوحيد الخالص منذ أربعة عشر قرناً يرفض العضو الغريب ، ويؤكد له بعد التجربة المتصلة مع الديمقراطية الغربية والاشتراكية الماركسية وفشلهما

أن السبيل الوحيد أمامه هو المنهج الربانى الأصيل ، وأن الذين حرضوه طوال هذه السنين بالتماس المنهج الغربى (شرقيه وغربيه) سبيلا للنهضة فى العالم الاسلامى لم يكونوا صادقين فى دعواهم . فإن هذا الأسلوب فى الاحتواء والعمل على صهر المسلمين فى بوتقة الأممية الغربية كان من نتائجه سقوط الخلافة الاسلامية ، والدولة العثمانية ، وسقوط فلسطين والقدس فى أيدى الصهيونية، والحيلولة دون امتلاك المسلمين لإرادتهم وتطبيق شريعتهم الاسلامية والعمل على منعهم من أداء فريضة الجهاد ، أو امتلاك القوة القادرة على تجديد بناء الحضارة الاسلامية القائمة على العدل والرحمة والإخاء الانسانى .

مدحت باشا :

إن الصورة التى رسمتها تلك الكتابات المسمومة لمدحت باشا كاذبة ومضللة . فلم يكن مدحت بطلا قومياً ولكنه كان واحداً من قوى المؤامرة التى أعدت بإحكام للقضاء على الخلافة الاسلامية والدولة العثمانية ، وقد كان امره مكشوفاً لدى السلطان عبد الحميد الذى كان قد وضع يده على مخطط الدونمة بالاشتراك مع أحرار الترك الذين كانوا قد جندوا لخطة إزالة الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية من طريق الصهيونية بعد أن حققت قبل ذلك إزالة الجيتو بالثورة الفرنسية وما كان مدحت شهيداً فى الحقيقة ، لأن الشهادة لا تكون للخونة، وما قتلوه فى الحقيقة ولكنه قتل نفسه بخيانته لوطنه وللإسلام ،

والعمل على تمكين اليهود من النفوذ ، وهو من الدونمة الذين دخلوا فى الإسلام تقية لإخفاء هويتهم ، ولتدمير الدولة العثمانية من الداخل . وكان يعمل بتوجيه من المتآمرين المقيمين فى [illegible]يس ، والمتآمرين المقيمين فى سالونيك . ولم يكن الدستور الذى دعا إليه مدحت إلا محاولة لإخراج الدولة العثمانية من النظام الإسلامى والشريعة الإسلامية وتغليب نفوذ العناصر المعادية للإسلام ، وتمكينها من الانقضاض على الدولة .

وكان السلطان عبد الحميد يعلم مدى ما تهدف إليه المخططات الصهيونية . ولقد شهد المؤرخون المنصفون بأن الدولة العثمانية الإسلامية قد تسامحت إلى أبعد حد مع العناصر غير الإسلامية ، ومكنتهم من أداء عباداتهم وإقامة شعائرهم ، وفتح المدارس وإقامة الجامعات إلى الحد الذى كان عاملا من عوامل تمكنهم من التآمر على الدولة وإسقاطها . ولقد كان السلطان عبد الحميد هو نقطة المؤامرة فى الحقيقة لأنه وقف أمام مطامعهم وأهوائهم ، ورد (هرتزل) عن محاولاته ومؤامراته بالرد الحاسم وسمع من ممثل اليهود أن ذلك سيكلفه عرشه أو حياته . . وقد كشف السلطان عبد الحميد فى مذكراته دور الدونمة ورجال الاتحاد والترقى .

الانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية :

وإذا كانت هناك محاولة للانتقاص من قدر الخلافة الإسلامية ،

واتهامها بالتقصير . فإن هناك ما يؤكد كذب ذلك ، وما أورده جمال الدين فى حديثه إلى المخزومى باشا فى كتابه (خاطرات جمال الدين) يكشف عن مدى قدرة السلطان عبد الحميد على فهم تيارات الغربيين ، وقدرته على ضرب مخططاتهم وضرب بعضهم ببعض . ولقد قام السلطان عبد الحميد بإعلان تلك الصيحة المفزعة التى عجلت به . وهى قوله : (يا مسلمى العالم اتحدوا) وكان هدفه أن يجمع المسلمين من هم خارج الدولة العثمانية (العرب والترك) تحت لواء الخلافة والوحدة . وفزع الغربيون واليهود من ذلك فزعاً شديداً . فقد مضى إليه بخطى حاسمة وحقق نتائج هامة .

ولقد كان عقلاء المجاهدين المسلمين يؤمنون بأن المحافظة على الدولة العثمانية إحدى العقائد الإسلامية بعد التوحيد والنبوة . ومن ذلك محمد عبده وشكيب أرسلان ورشيد رضا وغيرهم . وقد كانت الدعوة الحقيقية هى محاولة إصلاح الدولة العثمانية من تحت مظلة الخلافة وتعديل تنظيمات الحكم دون إسقاط الدولة . كان ذلك فهم أحرار العثمانيين والعرب جميعاً ، وقد كان هذا ممكناً لولا ذلك الدور الذى قامت به الماسونية واليهودية العالمية فى سبيل تحطيم نفوذ السلطان عبد الحميد ، وإحلال نفوذ الاتحاديين أعوانهم الذين تربوا فى محافلهم. والذين سلموا لهم فلسطين ، وسلموا للإيطاليين فى طرابلس الغرب ، وأدخلوا الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى ولا ناقة لها فيها ولا جمل حتى يحطموها ويقضوا عليها .

وحدة إسلامية وليست عنصرية :

كذلك فإن علاقة مصر والبلاد العربية بالدولة العثمانية لم تكن علاقة استعمار . وإن كلمة استعمار لا تطلق إلا على النظام الغربي الحديث وإنما كانت علاقة ترابط تحت لواء الأخوة الإسلامية ، واستعانة البلاد المستضعفة بالدولة القوية ، والمصريون والجزائريون وغيرهم هم الذين طلبوا من الدولة العثمانية الارتباط بها خوفاً من تجدد مؤامرات الحروب الصليبية .

زيف ما في كتب الموارنة وأتباعهم :

ولا شك إنه من أكبر أخطاء الباحثين هو إعادة نشر ما جاء في الكتب المدرسية والدراسات التاريخية السابقة لظهور « بروتوكولات حكماء صهيون » عن السلطان عبد الحميد وتركيا العثمانية . وهذا كله زائف ومن صنع الصهيونية وأعوانها من الموارنة . أما اليوم فإن الرؤية التاريخية المنصفة قد اتسعت ومن الظلم أن يقف الباحثون عند الحملات الكاذبة المضللة وتجاهل الرؤية الصحيحة لأبعاد الواقع التاريخي لقد حملت كتب جورجي زيدان وأحمد أمين وغيره صورة مضللة زائفة للسلطان عبد الحميد ، وصورة براقة زاهية للاتحاديين الذين علقوا العرب على المشانق ومكنوا للصهيونية وحطموا الدولة العثمانية ، وهم الذين تربوا في أحضان المحافل الماسونية . وعلى الباحث المنصف

أن يرجع إلى الإضافات الجديدة التي ظهرت بعد الخمسينات والتي تكشف فساد ما كتبه جرجي زيدان وفارس نمر وسليم سركيس .

والجديد يجلو الحقيقة ، فما كتبه جواد رفعت ومحمد جميل بيهم ، وعبد الله التل والعقاد وخليفة التونسي وعجاج نويهض وتوفيق برو ، فإن هذه الكتابات قد غيرت تلك الصورة الزائفة التي ما زال يعتمد عليها خصوم الإسلام .

والقضية أن اليهود عندما أحسوا بأن السلطان عبد الحميد قد وقف في طريقهم نهائياً عملوا على تصفيته ، ومهدوا لذلك باتهامه بالاستبداد والفساد ، وأذاعوا ذلك في صحف الموارنة في مصر مثل المقطم والهلال والمقتطف وغيرها .

ثم جاء أحمد أمين وأمثاله فنقلوا منهم . لأن الحقائق لم تكن قد تكشفت بعد ، ولم تكن البروتوكولات قد ترجمت إلى العربية ، فلماذا هذا التزييف بحجب مرحلة من الحقائق ، والعودة إلى إذاعة ما قبلها من الضلال بإعلاء شأن مدحت وأتاتورك ، وهما من هما في الخيانة والتبعية .

حقيقة أتاتورك :

إن أتاتورك في الحقيقة لم يكن مجاهداً ولا مصلحاً ، وإنما كان تتمة الاتحاديين . لقد أخروا دوره في المرحلة الأولى قبل الحرب

ليتولى الدور الثانى . فالاتحاديون أسقطوا الدولة العثمانية بأن أدخلوها الحرب لتصفى ماليتها ووجودها . وجاء أتاتورك ليفرض عليها اللون الغربى ، وينقلها نقلة واسعة من دولة الخلافة الإسلامية إلى دولة علمانية تكتب بالحروف اللاتينية ، ويقضى على الإسلام تماماً ، ومعاهدته السرية المعروفة التى عرفت بمعاهدة لوزان تكشف ذلك فى وضوح .

وقد استطاع أتاتورك إخفاء وجهه الحقيقى حتى يؤدى دوره كاملا فخدع المسلمين فى المرحلة الأولى بالصلاة وإمساك المصحف ، وطلب الدعاء منهم . أما دوره فى الجهاد فى أزمير فقد كشفت الوثائق أنه كان زائفا ، وأن غيره هو الذى قام بدور البطولة ، وأنه استلب منهم هذا المجد وحطمهم ونسبه إلى نفسه .

ولقد كان أتاتورك عميلا غربياً كاملا ، وعميلا صهيونياً أصيلا ، وقد أدى دوره تماماً . وأقام تلك التجربة المظلمة المريرة التى تركت آثارها من بعد على العالم الاسلامى كله ، والتى كشفت الأحداث فى الأخير فسادها ، وتبرأ الأتراك المسلمون من تبعتها ، وكانت ظاهرة عودتهم إلى الأصالة مرة أخرى . وذلك دليل على أنها كانت تجربة زائفةمضادة للفطرة ولطبائع الأشياء ، والدليل إن المسلمين لم يتقبلوها بل رفضوها ، وقد كشف أكثر من مستشرق وفى مقدمتهم (هاملتون جب) إن العرب ان يقعوا فى براثن هذه التجربة التى خرجت بهم من الأصالة وعن الذاتية الإسلامية .

ولقد كان من أكبر معالم اضطراب كمال أتاتورك أنه عندما أحس بدنو أجله أن دعا السفير البريطاني ليتولى بدلا منه رئاسة الدولة التركية . وكان كعلامة من علامات الخسة والنذالة والخيانة !!

وقد صفع المؤرخ العالمي أرنولد توينبي التجربة الكمالية التي يفخرون بها ويمجدونها الآن بعد أن رفضها أهلها وحكموا بفسادها . لقول توينبي إن الأتراك كانوا عالة على الحضارة الغربية وأنهم تغربوا ولم يقدموا أي شيء إلى هذه الحضارة ، فكانوا عاجزين عن الإبداع في أي مجال من مجالات الإنتاج .

والواقع أن مصطفى كمال أتاتورك لم يكن كما يدعى المدعون شيئاً جديداً ولكنه كان حلقة في المؤامرة التي بدأها مدحت وكان وسطها رجال الاتحاد والترقي للقضاء على السلطان والدولة العثمانية . ثم ختمها أتاتورك بالقضاء على الخلافة الاسلامية ، ولا ريب أن انتقاص قدر الدولة العثمانية وحكامها مجاف لواقع التاريخ ، وهو من عمل أتباع التغريب والشعوبية ، وهو عمل ضمن مخطط يرمى إلى إثارة الخلافات والخصومة بين عناصر الأمة الإسلامية ، ودعوة للوقيعة بين العرب والترك والفرس . وهم عناصر الأمة الواحدة التي جمعها القرآن وقادها محمد ﷺ وآمنت بأنه لا إله إلا الله مهما كانت هناك خلافات فرعية فإنهم جميعاً أمة واحدة ، ولو كان هناك قليل من الإنصاف والأمانة التاريخية لدى كتابنا المزيفين لراجع الكاتب ما كتبه استيورت وهو

غرب ، في كتابه (حاضر العالم الإسلامي قبل أربعين عاماً) وكيف تحدث عن عظمة الدولة العثمانية ، ودورها الذى قامت به فى وجـــه الصليبية الغربية .

أما صيحة العناصر والأجناس التى حاول كاتب أخبار اليوم يجعلها قضية فإنها لم تكن كذلك فى ذلك الوقت ، وإنما هى المؤامرة التى عمد النفوذ الأجنبى بها إلى استغلال صيحة القوميات لتفكيك عرى الدولة العثمانية . أما المسلمون فلم يكونوا يعرفون مصرية وسورية وجزائرية وغيرها ولا كلمة العروبة نفسها ، ولكنهم كانوا مسلمين فحسب وإنما ظهرت هذه الدعوات إلى الاقليمية والقوميات بتحريض عناصر غير مخلصة لتفكيك عرى الوحدة ، وهدم هذه الجامعة الإسلامية التى كان الغرب يخشاها ، ولإقامة قومية زائفة هى القومية الصهيونية .

ولا ريب أن الأسلوب الذى اتخذ فى إسقاط السلطان عبد الحميد هو أسلوب لم يعرفه النظام الإسلامى فى تاريخه كله وهو من صنع المؤامرة الصهيونية التلمودية التى استطاعت أن تحمى وتحرك هذا الخداع عن طريق قوة عسكرية تتحرك هاتفة بإسم السلطان خدعة ثم تكون فى نفس الوقت متآمرة عليه لخدمة هدف غامض على كل الذين قاموا به ، ولا يعرفه إلا القليل وهو إعادة اليهود إلى فلسطين ! . .

كذلك فان ما قام به أتاتورك لم يكن نصراً عسكرياً أو سياسياً وإنما كان هناك إشارة بقبول التوجيه الغربى : وتوقيع ملحق معاهدة لوزان وهو الذى فتح الطريق إلى كل شىء ، وبه حلت جميع المشاكل ، والسحبت

كل الجيوش ، وتحقق ما يسمى النصر والاستقلال . وكتبت على أثر ذلك آلاف الكتب فى تمجيد البطل الذى لم يكن إلا عميلا من عملاء الخيانة لحساب الصهيونية العالمية ، والنفوذ الغربى ، والشيوعية أيضاً فإن الشيوعيين هم أول من عاونه لقاء موقفه من عداء الاسلام .

ولا شك أن الضربة الذى وجهها أتاتورك إلى الخلافة الإسلامية قد فتحت صفحة خطيرة فى تاريخ الإسلام الحديث ، وأن الذين فرحوا لذلك من كتاب يكتبون باللغة العربية سوف يرون أنهم كانوا غير بعيدى النظر فى فهم الأمور ، وأنهم استمدوا ذلك الفرح من مشاعر حافلة بالحقد والكراهية للإسلام ، وأن الخلافة الإسلامية عائدة لا محالة ، وأنها هى العنوان الحقيق للجامعة الإسلامية وللتضامن الإسلامى ، وأنه لا سبيل إلى نهضة المسلمين إلا بقيام الخلافة الإسلامية . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعندها ستنكس رؤوس الظالمين .

المعاهدة السرية

التي عقدها أتاتورك والتي سميت بشروط كرزن الأربعة

ينص بروتوكول معاهدة لوزان المعقود بين الحلفاء والدولة التركية عام ١٩٢٣ المعروفة بشروط كرزن الأربعة على ما يلي :

أولا — قطع كل صلة بالاسلام .

ثانياً — إلغاء الخلافة الاسلامية

ثالثاً — إخراج أنصار الاسلام من البلاد

رابعاً — إتخاذ دستور مدني بدلا من دستور تركيا القديم المؤسس على الاسلام .

(١١)

غاندى

غاندى

غاندى سرق الحركة الوطنية من المسلمين . الهندوسى الهندى المتعصب الذى أخفى هندوسيته البغيضة وراء المغزل والشاة .

وكان أول سياسى طالب بتأجيل الاستقلال منادياً بمهادنة السلطة وعدم مناوأة حكومة الاستعمار .

وكانت فلسفة غاندى التى استقاها من تولستوى ولقنوها لنا فى الشرق هى التعامى عن تصرفات المستعمر والاستسلام له .

والحقيقة أن الزعماء المسلمين هم الذين أعلنوا استقلال الهند الحقيق وعينوا قضاة المحاكم وحكام المقاطعات وتجاهلوا جميع كل السلطات وقد ظهرت آثار المسلمين واضحة فى الحركة الوطنية وضعفت وطنية الهندوك فحاربوا المسلمين بكل سلاح حتى سلاح الفتنة الوطنية والدس الرخيص.

كان السؤال: حول غاندى وتكريمه، والأحاديث التى تنشر عنه فى الصحف، وتصويره بصورة البطل: ومحاولة القول بأنه كان رمزاً للمصريين أبان الحركة الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩ وكانت الإجابة كالآتى:

بدأت الحركة الوطنية لتحرير الهند فى أحضان الحركة الإسلامية. وقد ازعجت الاستعمار البريطانى هذه الخطوة فعمد إلى القضاء عليها بأسلوك غاية فى المكر والبراعة نحى بها المسلمين عن قيادة الحركة الوطنية وأسلمها إلى الهندوس، وأجراها على الأسلوب الذى سيطر على الهند بعد ثورة ١٩٥٧ التى قادهـــا المسلمون كان حريصاً ألا يتحقق للمسلمين السيطرة على الهند بعد أن ظلت تحكم الهند أكثر من خمسمائة عام مرة أخرى بعد أن أسقط دولتهم ..

والمعروف أن المسلمين قاطعوا مدارس الاحتلال وعزفوا عنها حتى أتيح لهم إقامة نهضة تعليمية داخل إطار دينهم وثقافتهم وذلك بإنشاء عدد من المعاهد الإسلامية، انتشرت فى «لاهور» و «لكنؤ» ولم تلبث أن حققت تقدما واضحاً فى هذا المجال. ثم اتجه العمل لتحرير الهند فألفت الجمعية الإسلامية العامة فى لكنؤ (بومباى) وكان يشرف عليها كبار المسلمين فى الهند مطالبين بحقوق المسلمين فى الهند كوطنيين وكان الهندوك قد أعلنوا إنشاء المؤتمر الوطنى العام وسموه المجلس الملى الوطنى الهندى العام. وكان غايته أن ينالوا حقوقاً سياسية تخولهم السيادة

على الأقليات (وهم لا يريدون من كلمة الأقليات غير المسلمين) وفى عام ١٩١٦ تنبهت حكومة الاحتلال إلى حركة الجمعية الإسلامية فأوعزت إلى محمود الحسينى أن يغادر الهند وقبض على أعوانه : أبو الكلام أزاد، حسرت موهانى ، ظفر الله خان ، محمد على ، شوكت على . ولما عقدت الهدنة فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها لإجراء إصلاحات فى قانون الهند . فاتفق الفريقان (المسلمون والهندوس) على عقد مؤتمر فى لكنو يجتمع فيه زعماء الفريقين .

وفى عام ١٩١٩ أطلقت الحكومة سراح المسجونين السياسيين المسلمين ، فاجتمع زعماؤهم فى لكنو بدعوة مولاى عبد البارى رئيس علماء أفرنجى محل فتداولوا فى تأسيس جمعية إسلامية لتنظيم مطالب الاستقلال وكان قد ظهر فى هذا الوقت تآمر الدول الكبرى على تمزيق شمل الدولة العثمانية . فأطلق هذه الجماعة (جمعية إنقاذ الخلافة من مخالب الأعداء الطامعين) وتأسست جمعية الخلافة فى بومباى (١٨ فبراير ١٩٢٠) برئاسة غلام محمد فتو ، ميان حاجى خان . ودخل فى عضويتها الزعماء المسلمون المعروفون فى الهند ، ودعت اللجنة المسلمين إلى جمع الإعانات للدفاع عن حوزة الخلافة ، فأقبل المسلمون بسخاء وجمع مالا يقل عن سبعة عشر مليون روبية إلى أضعاف ذلك كما يقول السيد عبد العزيز الثعالبى الزعيم التونسى الأشهر فى تقريره الذى قدمه للأزهر الشريف فى يونيو ١٩٣٧ بعد زيارته للهند ودراسته لأحوال المسلمين هناك .

كان (غاندى) إلى تلك الآونة غير معروف فى الهيئات السياسية فى الهند ، وكان متطوعاً فى فرقة تمريض الجنود . ولما انتهت الحرب وانفصل عنها كانت جمعية الخلافة فى بدء تأليفها فأقبل عليها وكان إسمه غير معروف إلا بين الأفراد القلائل الذين عرفوه فى الناتال وجنوب أفريقيا . فتيامن به زعماء المسلمين رغم تحذير المولدى (خوجندى) وكان على صلة به من قبل ، ويعلم من أمره مالا يعلمون وبالأخص من ناحية تعصبه للهنادكة مع المسلمين . وشاءت الغفلة أن تنطوى هذه الحركة العظيمة على يديه . فقعد فى جمعية الخلافة مقعد الناصح الأمين وجعل يشير عليها باستئلاف الهنادكة فقبل الأعضاء نصحه عن حسن نية ، وندبوه للسعى إلى ذلك فقام وطاف الهند على حساب الجمعية يدعو إلى الوفاق ويقول المطلعون على خفايا الأمور أنه كان يتصل بالهنادكة ، ويتآمر معهم على شل الحركة الإسلامية ولما عاد من الرحلة سعى إلى إقناع جمعية الخلافـــة بالانضمام إلى الكونجرس (المؤتمر الوطنى) الذى تأسس لملاحقة المسلمون ، وانتزاع حقوقهم فى الهند . فانضمت إليه جمعية الخلافة وتبعتها بقية الأحزاب الإسلامية المعروفة ارتكازاً على الثقة فى (غاندى) وعقد الكونجرس اجتماعاً فوق العادة بعد انضمام المسلمين إليه فى مارس ١٩٢٠ فى بلدة باكبور حضره ٢٥ ألف مندوب أكثرهم من المسلمين ولما تلى عليهم القانون الأســـاسى اقترحوا تعديل المادة التى تقول بإصلاح حالة الهند إلى عبارة (استقلال الهند) فوافق على ذلك المؤتمر ، وشرعت الأحزاب الهندوكية منذ ذلك الوقت تطالب بالاستقلال التام طبق رغبة المسلمين وكانوا قبل

ذلك لا يطالبون إلا بإجراء إصلاحات. فارتاعت الحكومة (البريطانية) لهذا التغيير وعدته فاجعة فى سياسة البلاد وعلى أثره ألقت القبض على الزعماء، وزجتهم فى السجون. واجتمع قادة الحركة وعرض أبو الكلام آزاد اقتراحا باسم الأعضاء المسلمين يتضمن إعلان (الأمة الهندية) وبأن الحكومة الحاضرة غير شرعية، مع دعوة البلاد إلى مقاطعتها فوافقت الجمعية، وانعقد على أثره (مؤتمر جمعية الخلافة) فأعلن موافقته أيضاً بالإجماع. وبعد أن جرى تصديق المؤتمر على قرار المقاطعة قام غاندى خطيبا وقال، إن اتحاد الهندكة مع المسلمين يبقى متيناً مالم يشرع المسلمون فى مناوأة الحكومة، ويشهروا السلاح فى وجهها. ورد عليه أبو الكلام آزاد فقال:

« إن كان غاندى يتصور أن أعمال المسلمين فى الهند لا تقوم إلا على مساعدة الهنادكة فقد آن له أن يخرج هذه الفكرة من دماغه وليعلم غاندى أن المسلمين لم يعتمدوا قط على أحد إلا على الله عز وجل وعلى أنفسهم ».

وشرعت الأمة الهندية عقب ذلك فى مقاطعة الحكومة وإظهار العصيان المدنى فامتنعت عن دفع الضرائب والرسوم، وتخلى المحامون عن الدفاع أمام المحاكم. وأعاد الناس الرتب والنياشين، والبراءات الحكومية، وأحرق التجار المسلمون جميع ما فى مخازنهم من البضائع الانجليزية، وترك المسلمون الموظفون مناصبهم فى الحكومة فحل

المنادك عليهم وهاجر كثير من المسلمين إلى الأفغان بعد أن تركوا أملاكهم وأرضهم فى الهند واشتدت المقاطعة فى البنغال اشتداداً عظيماً ليس له مثيل . فقد امتلأت سجونها بالمقاطعين من المسلمين حتى إذا أعيى الحكومة أمرهم صارت تقبض كل يوم على ألف شخص فى الصباح وتطلقهم فى المساء لأن السجون لم تعد تسع المعتقلين . وخطب اللورد ريدنج (الحاكم العام) فى كلكتا فقال :

إنى شديد الحيرة من جراء هـــذه الحركة ولست أدرى مـاذا أصنع فيها .

ومن هذا السياق تستطيع أن تتصور قوة المسـلمين فى الحركة الوطنية ، وضعفها فى الهندوكية ولا شك ان الهندوكى بالغاً ما بلغ من النشاط السياسى لا يستطيع أن يحاربه الحكومة ، كما لا يستطيع أن يحارب المسلمين إلا بسلاح الدس . وقد اجتمع الزعماء المسلمون فى عام ١٩٢١ وأعلنوا استقلال الهند استقلالا فعليا وعينوا ولاة الولايات ، وحكام المقاطعات ، وقضاة المحاكم فى جميع المدن . فكان الوطنيون يرفعون قضاياهم أمامهم ، ويتجاهلون محاكم الحكومة وبسبب ذلك تعطلت أعمال الحكومة والبوليس ، وحدث إرتباك شديد فى الدوائر العالية بالهند غير أنها بدلا من أن تستعمل سلاح القوة القاهرة لكفاح الشعب الأعزل جأت إلى المناورات السياسية وهى أشد خطراً . وكان بطل هذه المناورات المهاتما غاندى . فقد اتفق اللورد ريدنج مع غاندى على حل

الوفاق القوى بين المسلمين والهندوك وقد أذيع الحديث بواسطة المصادر البريطانية بعد ستة أشهر . فقد نقل إلى اللورد قال لغاندى :

« إن مصدر الحركة الاستقلالية فى الهند هم المسلمون ، وأهدافها بأيدى زعمائها فلو أسرعنا وأجبناكم إلى طلباتكم ، وسلمنا لكم مقاليد الأحكام ألا ترى أن مصائر البلاد آيلة للمسلمين . فماذا يكون حال الهنادكة بعد ذلك ؟ هل تريدون الرجوع إلى ما كانوا عليه قبل الاحتلال البريطانى وهل تفيدكم يومئذ كثرتكم وأنتم محاطون بالأمم الإسلامية من كل جانب ، وهم يستمدون قوتهم منها عليكم . إذا كنتم تريدون أن تحتفظوا لأنفسكم باستقلال الهند فعليكم أن تسعوا أولا لكسر شوكة المسلمين وهذا لا يمكنكم بغير التعاون مع الحكومة وينبغى لكم أيضاً تنشيط الحركات الهندوكية للتفوق على المسلمين فى جميع الأعمال الحيوية وفى بلوغهم الدرجة المطلوبة فإنى أؤكد لكم أن حكومة بريطانيا لا تتمهل فى الاعتراف لكم بالاستقلال ».

وقبل انصراف غاندى أوعز اللورد إليه أن يشير على (مولانا محمد على) كتابة تعليق على خطاب كان ألقاه فى مؤتمر الخلافة ، وحمل فيه على الحكومة حملة عنيفة . . يقول فى هذا التعليق :

« أن ما فهمته الحكومة كان مخالفاً لمرادى » فصدع غاندى بالأمر ودعا محمد على لكتابة هذا البيان بعد أن أفهمه أن الكتاب سيكون سرياً لا يطلع عليه أحد غير اللورد فكتب البيان تحت التأثير السحرى

الذي كان لغاندي عليه . وما كاد الخطاب يصل إلى اللورد حتى أذيع في جميع أقطار الهند بعد أن صورته الحكومة بمقدمة قالت فيها :

« إن محمد علي تقدم إلى الحكومة يطلب منها العفو عن الهفوة التي ارتكبها » .

واتهم محمد علي من المسلمين بالتراجع ، ورمي بالخور والضعف غير أنه لم يحاول أن يصحح موقفه إلا حين عقد مؤتمر الخلافة في كراتشي (أغسطس ١٩٢٠) حين أعلن سياسة المناوأة للحكومة لا موالاتها . فتلقى منه الهنادكة والمسلمون هذا التصريح بالارتياح التام ولكن عقب انفضاض المؤتمر أمرت الحكومة باعتقاله مع ستة آخرين من الزعماء : شوكت علي ، حسين أحمد ، كثار أحمد ، بير غلام محمد ، الدكتور سيف الدين كتشلو . وساقتهم جميعاً إلى المحكمة المخصوص للمحاكمة . فرفضوا الاعتراف بالحكومة وهيبة المحكمة عملا بقرار المؤتمر السابق وامتنعوا عن الدفاع عن المتهم . ولكن المحكمة أدانتهم بمجرد الاتهام ، وحكمت عليهم بالحبس عامين مع الأشغال الموجهة إليهم . وبعد الحكم أصدر محمد علي ، سيف الدين كتشلو منشوراً بتوقيعهما يخاطبان فيه الشعب وينصحانه بعدم الاهتمام بما حصل ويعدانه بأن الزعماء المعتقلين سيحضرون اجتماع الكونجرس القادم في ديسمبر بمدينة (أحمد أباد) سواء رضيت الحكومة أم كرهت لاعتقادهما أن الكونجرس سيعلن بصفة رسمية استقلال الهند ، وتأليف حكومة وطنية هي التي ستقرر الإفراج عنهم . ولكن الحكومة لم تأبه لهذا

المنشور لأنها كانت واثقة من أن الكونجرس لن يفعل . ولما عقد اجتماع الكونجرس (ديسمبر سنة ١٩٢٠) حضر غاندى وقال :

« بما أن الزعماء يعتقلون، ولا سبيل للمداولة معهم فى منهاج أعمال المؤتمر فأقترح عليكم تعيينى رئيساً للمؤتمر ، وتخويلى السلطة المطلقة لتنفيذ ما أراه صالحاً من الاجراءات » .

فوافقته اللجنة على ذلك دون أن تتنبه إلى ما كان يضمره هو من المقاصد التى قد لا تتفق مع خطة المؤتمر ، وتقرر فيها أيضا إسناد رئاسة مؤتمر الخلافة إلى أجمل خان ، ومؤتمر مسلم ليك إلى حسرت مهانى . وقبل اجتماع مؤتمر الخلافة قال غاندى للحكيم أجمل خان :

« إن إعلان الاستقلال فى الظروف الراهنة غير مناسب » .

وما زال به حتى أقنعه بالعدول عن إعلان ذلك مع أن الزعماء المسيحيون كانوا ينتظرونه بفارغ الصبر ، وكانت الحكومة تتوقع صدوره من أحزاب المسلمين بقلق شديد وما عساها تصنع لو تخلف غاندى عن الوفاء لها بوعده . وفى أغسطس ١٩٢١ اجتمع الكونجرس تحت رئاسة غاندى فى احمد أباد فأعلن أن الوقت الذى يصرح فيه المؤتمر باستقلال الهند لم يحن بعد ، فهاج الأعضاء وماجوا . وعقب انتهاء جلسات المؤتمر انعقد مؤتمر الخلافة ، وتهيب الحكيم أجمل خان أن يثير عاصفة من قبل المسلمين فأمسك عن إعلان الاستقلال . أما حسرت مهانى فقد أعلن فى مؤتمر مسلم ليك أن الهند تريد أن تحرب بواسطتهم

عن إرادتها في الاستقلال . فعلى الهنود أن يشعروا اليوم بأنهم مستقلون وألا يعترفوا بقوانين الحكومة الملغاة . فأمرت الحكومة بالقبض عليه وحكم عليه بالسجن عشر سنين مع الأشغال ، وأجمعت الصحف الهندية على نقده ووصفه بالشدة وخفضت العقوبة إلى سنتين . وعقب ظهور هذا الفشل الكبير فى سياسة البلاد إعترت المسلمين شكوك فى تصرفات غاندى ، واستيقنوا أن زعماء الهنادكة متفقون على ذلك فدب الانشقاق بين الطرفين :

هذا هو النص الذى أورده العلامة الزعيم عبد العزيز الثعالبى عن دور المسلمين فى الحركة الوطنية الهندية وكيف قضى عليه غاندى بالتآمر مع النفوذ البريطانى فانهار مخطط الاستقلال . وفى خلال سجن زعماء الحركة المسلمين تسلم غاندى الحركة وحولها إلى وجهة أخرى مخالفة عما دعا المسلمين من بعد إلى المطالبة بكيان خاص لهم .

هذا هو غاندى فى حقيقته التى لم تعرف فى بلادنا وفى المشرق . والتى أخفيت عنا تماماً خلال تلك الفترة التى كان المصريون بتوجيه من السياسة البريطانية يعجبون بغاندى ويدعون بدعوته إلى الاستسلام للنفوذ الأجنبى وقبول ما يعرض وعدم العنف . وهذه هى الفلسفة التى استقاها غاندى من تولستوى وذاعت كثيراً فى بلاد المسلمين معارضة لمفهوم الإسلام الصحيح من الجهاد المقدس فى سبيل استخلاص الحقوق المغتصبة أبان الحركة الوطنية المصرية حيث كانوا يجدون فى غاندى وأخباره ما يؤيد النفوذ الأجنبى ويدفع الوطنيين المصريين ناحية

التفاهم مع الاستعمار البريطاني ولذلك فإن هذه الصفحات التي ينشرها بعض الكتاب لرسم صورة مزخرفة لغاندي يجب أن لا تخدعنا كثيراً فإنه رجل هندوسي متعصب لهندوسيته كاره المسلمين. وقد كان هو وتلميذه نهرو أشد عنفاً وقسوة في معاملة مسلمي الهند، وقد كانت أنديرا غاندي إبنة نهرو أبان حكمها قد حكمت على المسلمين في بعض المناطق بتعقيمهم عن طريق العمليات الجراحية عملا على الحد من تعداد المسلمين في الهند. فيجب علينا أن نعرف الحقائق ولا تخدعنا الأوهام الكاذبة والصور البراقة التي يراد بها تغطية حقيقة وجريمة كبرى هي أن غاندي في الحقيقة سرق الحركة الوطنية من الزعماء المسلمين وتآمر عليهم مع الحركة البريطانية وأدخل أمثال محمد علي وشوكت علي وأبو الكلام آزاد وهم من أقطاب المسلمين، أدخلهم السجون، وسحب الحركة الوطنية بالتآمر من أيديهم، وحال دون قيام حكومة هندية حرة يكون المسلمون فيها سادة. وذلك العمل لخدمة الاستعمار البريطاني وتسليم الهند إليه لتحويل المسلمين إلى أقلية فيها مما دعا المسلمين إلى العمل على قيــام باكستان والتحرر من نفوذ غاندي والهندوكية والاستعمار البريطاني.

(١٢)

زكى نجيب محمود

كان السؤال فى الندوة عن مخططات التغريب والغزو الثقافى فى هذه المرحلة لمواجهة حركة اليقظة الإســـلامية ، وانكشاف مخططات الاستشراق والتبشير ، وافتضاح كل خيوط المؤامرة التى جند لها عدد كبير من التغريبيين بقيادة (المعلم) طه حسين . ثم تحطم كل هذه المخططات قبل رحيله .

والحقيقة أن النفوذ الأجنبى قد غير جلد طه حسين وحاول أن يقدم مخططاً جديداً لقيادات جديدة بعد أن هلك هذا التغريبى الكبير ووضع أمر ذلك فى عدة خطوات اتخذت بسرعة لتغطية الفراغ .. منها عقد مؤتمر ثقافى مغلق فى الكويت ضم مجموعة من أتباع الاستشراق والتغريب ، واليساريين ، وأتباع الفلسفة المادية . وكان على رأسهم (زكى نجيب محمود) و (محمد النويهى) لمواجهة الموقف بعد وفاة ذلك الزعيم الصنم الذى كان يمر فى السنوات الأخيرة من حياته بمرحلة الاحتضـــار .

وكذلك كاف المستشرق (جاك بيرك) بالطواف فى البلاد العربية

ودول الإمارات لإلقاء محاضرات عن طه حسين فى محاولة لاستعادة الثقة به بعد أن تحطمت هذه تماماً نتيجة الأبحاث التى كشفت عن دخيلته وخاصة ما كتبه محمود محمد شاكر ومحمد نجيب البهبتى وكاتب هذه السطور .

كذلك فقد حاولت جريدة الأهرام فى عهد هيكل أن تجمع فى نطاقها مجموعة كبيرة من دعاة التغريب أمثال توفيق الحكيم الذى وصف إسرائيل بأنها دولة متحضرة . وحسين فوزى الذى تنكر لعروبته واعتز بفرعونيته ورضى لنفسه أن يحمل درجة الدكتوراة من جامعات العدو . ونجيب محفوظ الذى عرف بتلمذته لزعيم التغريب سلامة موسى وهى ما تزال تحتفظ بهم إلى اليوم بعد ان أضيف إليهم أنيس منصور ويوسف إدريس .

وقد بدا فى السنوات الأخيرة أن الأضواء كلها قد ركزت تماماً على الدكتور زكى نجيب محمود كقائد لهذه الكتيبة التغريبية وقد مهد الدكتور لذلك بأن أعلن أنه أعاد النظر فى التراث الإسلامى (وأسماه العربى) فى محاولة لخداع البسطاء ولتغطية ماضى طويل فى الفكر المادى كانت قمته كتابه المعروف (خرافة الميتافيزيقا) أى بمعنى صريح إتهام مفهوم الغيب الذى جاء به الإسلام بأنه خرافة . وإنكار كل ما سوى المحسوس والمعقول متابعة فى ذلك للمذهب الفلسفى الذى أعتنقه طوال حياته مقلداً فى ذلك فيلسوفاً أوربياً مادياً ملحداً ينكر الأديان المنزلة ويفاخر بأنه يمثل مدرسته (أوجست كونت). وفى طريق كسب

الأنصار والتقرب إلى الشباب الواعي المثقف يتحدث الدكتور زكي نجيب محمود عن الإيمان بالله وعن الإيمان باليوم الآخر ، وعن أعلام التراث : الغزالي وغيره . وذلك كله محاولة لإلقاء حاجز بين الماضي والحاضر وإحراز الثقة التي تمكنه من بث مفاهيمه وآرائه .

ونحن لا نتهم أحداً في عقيدته ولا نتعقب العورات ولا نلتقط ما تتكشف عنه السرائر من وراء الوعي ولكننا نقرر بداءة بأن المنهج الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود معارض لمفهوم الإسلام الصحيح من جوانب عديدة وخاصة بالنسبة لتلك القضية الكبرى التي يثيرها في كل كتاباته وهي مسألة العقل والعقلانية فالإسلام لا يعطي العقل هذا السلطان المطلق كله ، ولا يقر مثل هذا المعنى . وإنما يرسم للعقل طريقاً كريماً في ضوء الوحي . والعقل في الإسلام مناط التكليف ولكنه ليس حكماً على كل شيء ذلك لأن العقل أداة تصلح إذا صلح تكوينها وتفسد إذا فسد تكوينها . وهي إن اهتدت بالوحي أضاءت وأشرقت عليها أنوار الفهم . أما إذا اهتدت بالفكر البشري فإنها تكون بمثابة أداة تبرير لكل شر ولكل أهواء النفس .

فالعقلانية بالمعنى الذي يدعو إليه زكي نجيب محمود نظرية مادية صرفة ومرفوضة تماماً . وإذا كان هو وجماعة المستشرقين والتغريبيين يعتزون من التراث بالجانب الخاص بالمعتزلة فإن هذا الاعتزاز لا يمثل إلا انحرافاً في مفاهيم الفكر الإسلامي . فالمعتزلة خرجوا عن مفهوم الإسلام الجامع المتكامل بين العقل والقلب ، والروح والمادة ، والدنيا

والآخرة .وأهلوا مفهوم العقل . فانحرفوا وتخطوا وحكمت عليهم الأمة كلها بأنهم خرجوا عن مفهوم الإسلام الصحيح حين دعوا إلى خلق القرآن واستعدوا الخلفاء على المسلمين والعلماء . وقد هزمهم الله شر هزيمة على يد الإمام أحمد بن حنبل ،وأعاد للإسلام مفهومه الأصيل الجامع .

والموقف نفسه يقفه الإسلام بالنسبة للدعوة إلى التصوف كمنطلق وحيد لفهم الحياة والأمور من خلال الحدس والروحانيات وحدها ولقد كان هوى زكى نجيب محمود فى دراساته فى التراث مع ذلك المفهوم العقلانى الذى انحرف عن مفهوم الإسلام الجامع ، والذى استمد مادته من الفلسفات اليونانية الوثنية المادية ، والالحادية الإباحية التى غامت سحابتها على الفكر الإسلامى ثم انقشعت تحت تأثير أضواء المفهوم القرآنى الأصيل .

• • •

كذلك فإن مفهوم الدكتور زكى نجيب محمود للألوهية مفهوم ناقص وقاصر لا يمثل مفهوم الإسلام (على النحو الذى أورده فى مقاله فى الهلال) .

لقد مرت البشرية بمراحل كثيرة فى فهم الألوهية ناقصة ومنحرفة وجاء الإسلام بالمفهوم الجامع الحق فلم يعد هناك مجال لإعادة ترديد هذه

المفاهيم بعد مرور أربع عشر قرنا على نزول دعوة التوحيد الخالص .

إن الذى يقبله شباب الإسلام اليوم من الباحثين هو مفهوم الله الحق لا مفهوم الآلهة كما فهمه الوثنيون أو المعددون ، أو المشركون الذين كانوا يؤمنون بالله خالقاً ولا يؤمنون به مصرفاً للأمور كلها .. وقد جاء الإسلام ليكشف هذه الحقيقة وحدها ، ويدعو إليها وهى : (إسلام الوجه لله) .

أما مفهوم الإيمان بالله على النحو الذى كتب عنه الدكتور زكى نجيب محمود فهو مفهوم عرفه المشركون ولم يقبله منهم الإسلام . ولعل من أكبر الخطـأ عرض مفهوم أرسطو وأفلاطون فى الألوهية ومحاولة تفسيره بمفهوم الإسلام مع أنه كان أبعد ما يكون عن ذلك بل إن القرآن الكريم دحض كثيراً من مفاهيم أرسطو وأفلاطون والفلسفات اليونانية والوثنية والغنوصية لنقضها وقصورها . وخاصة ما ادعاه هؤلاء من أن الله تبارك وتعالى يدير ظهره للكون ولا يعلم الجزئيات ، وأن المادة خالدة إلى غير ذلك من تلك التفاهات بل إن مفاهيم أرسطو وأفلاطون الألوهية تدخل تحت ما أسموه (علم الأصنام) فكيف يقدم هذا المفهوم لشباب المسلم اليوم على أنه مفهوم الألوهية الحقة ؟ ! ولقد كشف علماء المسلمين منذ وقت بعيد فساد مفاهيم الفكر البشرى ونقصه . وكيف أنها منحرفة . وكيف أن الله تبارك وتعالى يعلم الأمور كلها (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس) .

وأن هذا الكون ليس مخلداً ، ولا باقياً ، وأن له نهاية كما كانت له بداية ، وأن الله تبارك وتعالى يمسك هذا الكون لحظة بعد لحظة ، ويديره ساعة بعد ساعة ، وأن كل ما يقوله الفلاسفة هراء .

والمسلمون يعلمون أن الكتب المنزلة حرفت وغيرت مفهوم الألوهية الحقة (الله رب العالمين) فنسبه البعض إلى أنفسهم وقالوا : إنه رب الجنود وربهم وحدهم . وقال الآخرون بأن لله ولداً وكذبوا « ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه » .

وليس مفهوم الألوهية صحيحاً ولا كاملا إلا فى الاسلام وحده . مفهوم إسلام الوجه لله (إياك نعبد وإياك نستعين) .

ولقد حاول الفكر البشرى أن يزيف مفهوم الألوهية الحقة . وأخطأت الماسونية حين قالت « المهندس الأعظم » وهناك انحرافات الباطنية والماديين والوجوديين ودعاة وحدة الوجود والحلول والاتحاد على النحو الذى عرف عن كثيرين . وهناك مفهوم الاسلام بوصفه ديناً لاهوتياً . والحقيقة أن المطلوب ليس إثبات وجود الله تبارك وتعالى ولكن المطلوب معرفة حقيقة هذا الوجود بعيداً عن هذه المفاهيم المنحرفة ويستتبع الإيمان بالله تبارك وتعالى ، الإيمان بشريعته .

ولكن الدكتور زكى نجيب محمود لا يلبث أن ينتقص من شأن هذه الشريعة ويصفها بأنها قاصرة ومجافية للعصر ويطالب بتخطيها فى سبيل تحقيق المعاصرة ، وهو يقبل بالحضارة الغربية كما كان يقبل

بها سلفه طه حسين (حلوها ومرها وما يحمد منها وما يعاب) فما عرف عنه أنه دعا المسلمين إلى أخذ العلوم مثلا دون أسلوب العيش ولكنه يدعو إلى شيء غريب هو أن المسلمين ليس لهم فلسفة حياة وهو ادعاء باطل وظالم .

فكيف يمكن أن يقال لأصحاب القرآن الذى وضع منهجاً للحياة والمجتمع غاية فى الاحكام جربته الشعوب والأمم ألف عام فأقام لها حياة الرحمة والعدل والأخاء البشرى . كيف يمكن ان يقال لهذه الأمة إنها لا تمتلك منهج حياة .

وكيف يقبل وهو العقلانى الحصيف هذا المنهج الذى يعيشه الغرب سواء الغرب الليبرالى أم الماركسى فى ذلك الخضم العفن الفاسد المتآكل من الشهوات والإباحيات والانحراف والتحلل والغربة بشهادة كتاب الغرب والشرق على السواء .

وكيف يغضى وهو الأمين على الكلمة عن أزمة الحضارة وأزمة الانسان الغربى . وقد قرأ عشرات من الكتابات آخرها ما كتبه (سلجوستين) ودمغ به حضارة الغرب التى يكبرها زكى نجيب محمود وحسين فوزى وتوفيق الحكيم . ويفخرون بها ويغوصون بأقلامهم فى تلك الحمم من الدماء والعفن والفساد . وهم يقولون لا إله إلا الله على الأقل وراثة ، ويرون كيف يقدم الاسلام ذلك المنهج النقى الطاهر الأخلاق الكريم الذى يرفع من قدر الانسان . وكيف يحق لأمة تحمل لواء القرآن (ألف مليون مسلم) أن تتخلى عن رسالتها فى تبليغ كلمة

الله الحق إلى العالمين وتنصهر فى بوتقة الأممية والحضارة المنهارة التى تمر بآخر مراحلها .

وهل من الأمانة أن يدعو هؤلاء أمتهم إلى هذا وهم روادها والرائد لا يكذب أهله ولا يغشها . إن مسئولية القلم وريادة الفكر هى أضخم المسئوليات عند الله تبارك وتعالى يوم الحساب . وقد كان أولى بهم جميعاً أن يصدقوا أمتهم النصح ويدعونها إلى أن تقيم حضارة الاسلام مجددة فى إطار (لا إله إلا الله) والأخلاق والرحمة والاخاء الانسانى وأن يلتمسوا أسلوب العيش الاسلامى ليقدموا للبشرية نموذجاً جديداً نقياً تتطلع إليه النفوس والأرواح اليوم بعد أن عم الفساد البلاد الغربية كلها من جديد . ولن يكون غير الاسلام . وسوف يدمغهم التاريخ بأنهم كانوا رواداً غير مؤتمنين على الأمانة ، وسوف تكتب أسماؤهم فى سجل الذين عجزوا عن أن يقولوا كلمة الحق ، وأن ينصحوا لأمتهم وهم الذين عاشوا حياة الغرب ، وعرفوا فساد مناهجه وأساليب حياته ، وعرفوا أن هذه الأمة الاسلامية الكريمة على الله أعز من أن تسحق فى أتون الشهوات وأن تدمر بأيدى ابنائها ودعاتها الذين تلمع أسماؤهم وتخدع الناس شهرتهم .

إن الدكتور زكى نجيب محمود قد أخطأ الطريق حين فهم التراث الإسلامى ذلك الفهم الذى جعله يكرم أمثال (ابن الراوندى) (ومزدك) و(مانى) . و(الحلاج) ، و(الباطنية) ، و(الشعوبية) و (إخوان الصفا) وتلاميذهم .

كذلك فهو مؤمن بمجموعة من المسلمات الخاطئة من حصارة مفاهيم الفكر البشرى الوثنى المادى فضلا عن أن إيمانه بالعلم والعقل وحدهما وهو فى مفهوم الاسلام تصور شديد عن المفهوم الجامع .

وإنى لأسأل الدكتور زكى نجيب محمود : هل يؤمن بالوحى ؟ هذا هو مقطع المفاصلة بيننا وبينه . وإذا كان يؤمن به فلماذا لم يعلن فساد منهج كتابه (خرافة الميتافيزيقا) ولماذا لا يؤمن بهذا الوحى الذى جاء به القرآن شريعة ومنهج حياة ؟

وإذا كان الدكتور زكى نجيب محمود قد تراجع عن « خرافة الميتافيزيقا » وغيرها من آرائه . أليس من الشجاعة أن يعلن ذلك صراحة حتى يستطيع أن يكسب إلى صفه بعض الناس .

إن محاولة اقتعاد مكان طه حسين اليوم هو أمر مضيع . فقد انتهى ذلك العهد وصحا الناس وخطت حركة اليقظة الاسلامية خطوات واسعة فكشفت عن فساد تلك النظريات والأطروحات الزائفة التى قدمها الآباء العتاة الذين كانوا يستقبلون أبناءنا فى الجامعات الأوربية وهم من اليهود أمثال مرجليوث ودور كايم وغيره .

أما قول الدكتور زكى نجيب محمود أن الثقافة الاسلامية فى العصر العباسى قد اغترفت ثقافات الدنيا بغير حساب فهو قول باطل . لقد وقفت الثقافة الاسلامية موقف التحليل والغربلة لكل ما ترجم ،

وأخذت منه ما وجدته صالحا ومطابقاً لمفهوم التوحيد الخالص . أما ما عدا ذلك فقد رفضته وشنت عليه حرباً عنيفة ، وأخرجت دعاته من طريق الفكر الاسلامى فأطلقت عليهم اسم (المشاؤون المسلمون) إعلاناً لتبعيتهم للمشائين اليونانيين ، ولم تقبل منهم ما جاءوا به .

وأعلن المسلمون أن منهج اليونان أو منهج الغنوصية الشرقى كلاهما باطل وأن الإسلام منهج خاص مستقل كما نفعل نحن اليوم إزاء ما يقدمه التغريبيون من فكر الشرق والغرب مما هو ليس مقبولا فى الاسلام بحال . كذلك فإن نظرية زكى نجيب محمود بالتوفيق بين المترجم الوافد الغربى وبين المجدد من التراث الإسلامى (وهو ما يسميه بالعربى استنكارا) هذه نظرية ليست مستحدثة بل هى نظرية طه حسين وهيكل والزيات وغيرهم . وهى نظرية اتضح بطلانها . أما ما تعارفت عليه اليقظة الاسلامية فهو أن يقوم أساس إسلامى أصيل من مفهوم الإسلام الجامع (بوصفه منهج حياة ونظام مجتمع) وفى ضوئه يحاكم التراث كله والوافد كله ، ولا يقبل إلا ما يزيد هذا المنهج قوة ودعماً مع الاحتفاظ بأسلوب العيش الاسلامى (عقيدة وشريعة وأخلاقاً) ودعوى زكى نجيب محمود بالمواءمة مرفوضة . فالمسلمون على استعداد التضحية بالتقدم المادى فى سبيل الاحتفاظ بالقيم الأساسية التى هى فى حقيقتها ليست معوقة للتقدم المادى ولكنها حائلة دون فساد الحضارة الغربية وزيفها وانحلالها الذى يود هؤلاء القوم إغراق هذه الأمة فيه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

(١٣)

سارتر
و عبد الرحمن بدوى

جرى التساؤل فى الندوة حول نظرية الوجودية بعد أن هلك سارتر وما هى الآثار التى تركتها على جبين الأدب العربى والفكر الإسلامى ؟

والواقع أن نظرية الوجودية قد نفقت قبل هلاك سارتر بوقت طويل وان حاول هذا الشقى أن يمد من عمرها بانتمائه فى السنوات الأخيرة إلى الشيوعية واحتضانه لقضايا الصهيونية إذ هو نصف يهودى كما كان يطلق عليه عباس العقاد لأن أمه يهودية . وقد خدع بعض البلهاء من المصريين حتى أعدوا له زيارة ليحصلوا منه على تصريح يخدم القضية الفلسطينية بعد أن نقلوه إلى خيام اللاجئين فى غزة . فما أن غادرها حتى كشف عن هويته الصهيونية اليهودية وأعطى الماركسيين الذين احتفلوا به درساً كشف عن عمالتهم هم ، ومكره هو والذين رافقوه ومع هذه اللطمة القاسية فان كتابا مصريين وعربا مازالوا يذكرون سارتر ويتحدثون عنه ويشيدون بمذهبه وبما يسمونه الوجودية العربية التى قادها عبد الرحمن بدوى وكان لها على فترة طويلة أعواناً .

وكانت كتب سارتر تظهر فى باريس بالفرنسية وفى بيروت بالعربية فى وقت واحد. وربما ندم بعض الكتاب عن تبعيتهم لسارتر، وأحسوا أنهم أخطأوا الطريق بعد أن قرأوا ما كتبه «جاك بيرك» مثلا حين قال:

« إن سارتر عقل كبير ولكنه مع الأسف يفتقر إلى الذكاء السياسى وليس من الضرورى أن يكون العقل الكبير عقلا سياسياً ولكن المشكلة عند سارتر أنه يريد أن يكون سياسياً فيما يحابيه من التيارات اليسارية ومنها الشيوعية بنوع من العقد النفسية .. ومن المؤسف أن سارتر الذى يبنى معظم فلسفته على فهم الآخر لا يفهم الآخر ولا يحس به . لم يستطيع سارتر أن يتغلب على ما أحيط به من الدعاية والتضليل الصهيونى . فاعتبر إسرائيل (ضحية) وقلب القصة فاعتبر إسرائيل (مدعى عليها) وقد بلغت الدعاية الصهيونية به أن يقلب الحقيقة التاريخية فى أوربا كلها . إنهم ينفون أن يكون الوجود الصهيونى استعماراً » .

ويردد كثير من أنصار سارتر فشل سارتر وكيف تبخرت مفاهيمه التى ضللت الشباب العربى ردحا من الزمن ، وكيف انقشع بريق إسمه فظهرت الوجودية فلسفة للفوضى والانحلال ، وكيف هوجمت فلسفة سارتر من كلتا النزعتين : الرأسمالية والشيوعية ورفضوا مفهومه عن الحرية ووصفوها بأنها حرية فوضوية ومن ثم حاول سارتر أن يتقرب إلى الشيوعيين وتراجع عن كثير من آرائه السابقة .

وفى مصر تقدم عبد الرحمن بدوى برسالة دكتوراه عن (الزمان

الوجودى) ورأس الحفل الدكتور طه حسين واشترك مع المستشرق بول كراوس وأعلن طه حسين أن عبد الرحمن بدوى أول فيلسوف وجودى مصرى ، وقد قدم بدوى الفكر الوجودى وترجم كل المصطلحات الوجودية الشاقة وترجم كتاب سارتر الضخم : (الوجود والعدم) .

ولم يلبث عبد الرحمن بدوى أن اختفى وطوته الموجة التى تطوى كل المذاهب الضالة والمنحرفة ، وكشف الفكر الإسلامى عن أصالته فى أنه يرفض كل ما ليس متصلا بقيمه الأساسية مهما بدأ يوماً وله بريق أخاذ .

لقد كانت فلسفة سارتر شؤماً عليه . فقد أضفت عليه ظلا مظلما مازال يلاحقه .

وقد كان عبد الرحمن بدوى قبل سارتر تابعاً للفلسفات الباطنية والمجوسية يحييها ويرد إليها الروح ، ويقدم شخصيات قلقة فى تاريخ الإسلام ويشيد بأمثال الراوندى والحلاج وغيرهما من الزنادقة . وإلى جانب ذلك فقد قدم فى الفلسفة الإسلامية الجانب الصوفى المتصل بوحدة الوجود والحلول وأشاد بالسهروردى وابن عربى وابن سبعين : تلك الشخصيات الضالة التى عمل أستاذه الأول (ماسينيون) على إحيائها. وكان طه حسين هو صاحب الدعوة إليها فى الأدب العربى منذ أعاد ابتعاث (إخوان الصفا) وكما سقط الفكر الباطنى سقط الفكر

الوجودى وانهارت تلك الصروح على رؤوس أصحابها (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم) .

وإذا كان الأدب الغربى قد عرف وجودية كيركجارد ، وكامى ، وسارتر ، فإن ذلك كله مستمد من أصول أصيلة فيه تقوم على فكرة الخطيئة المسيحية ، أما فى الفكر الإسلامى فإن محاولة زكى نجيب محمود عن المنطق الوضعى وفؤاد زكريا عن الفلسفة الماركسية وعبد الرحمن بدوى عن الفلسفة الوجودية هى محاولات ضالة باطلة سرعان ما لفظها الفكر الإسلامى صاحب الصرح الشامخ القائم على فكرة التوحيد الخالص والإخاء الإنسانى والعدل والرحمة .

وقد ذابت محاولات إحياء الفلسفة الصوفية التى قام بها (ماسينون) أربعين عاماً بإحياء الحلاج لأن المسلمين عرفوا طريقهم إلى التوحيد الخالص . فقد اسقطت حركة اليقظة محاولات إحياء الفلسفة ، والتصوف الفلسفى ، والكلام ، والاعتزال ، وجعلته ركاما حين أحيت (المنهج القرآنى) الأصيل حيث بدت كل محاولات الفلاسفة الإسلاميين المعاصرين وكأنها مقدمات موقوفة انطوت صفحتها حين برز نور المفهوم القرآنى : مفهوم أهل السنة والجماعة على نفس النسق الذى واجه المشائين القدامى أمثال ابن سينا والفارابى . وقد تكشفت نزعتهما إلى الباطنية الاسماعيلية فى الأخير بعد أن خدع بهما الكثيرون ، وحين يتنادى باسمه اليوم بعض غلمان المستشرقين فإن الأمر لا يخدع أحداً

ذلك أن الحقائق التي انكشفت قد ردت كبار الكتاب عما خدعهم به البريق الخاطف .

يقول أنيس منصور :

من الضروري أن نفلت من جاذبية شخص كبير لتجد نفسك ومعك حريتك . لقد وقعنا في غلطة حين تأثرنا بأستاذنا عبد الرحمن بدوي ذلك أن كثيراً مما رآه كان رؤيته هو والذي وجده شاقاً كان مشكلته هو والذي أحبه كان مزاجه هو ولكن في السنوات الأخيرة عاودت قراءة الفلسفة من ينابيعها التي أفزعنا منها عبد الرحمن بدوي فلم أجدها كذلك » .

وهكذا تبين أن هذه الهالة كانت باطلة ، بل إن أنيس منصور يبصرنا بأن سارتر عندما مات قال على فراش الموت : لا شيء ، كل شيء عدم .

ويستطرد أنيس منصور قائلا: سارتر الفيلسوف الوجودي الملحد كانت آخر كلماته لا شيء . أي لا فائدة من أي شيء . فهو يرى أن الوجود والعدم لهما نفس القوة ولهما نفس المعنى . فهي كالليل والنهار لا ينفصلان ، ولا تعرف على أي شيء أجاب سارتر لآخر مرة بكلمة لا شيء ، لا فائدة ، لا معنى ، لا هدف ، كل شيء عدم ، أو كل وجود عدم ، أو كل موجود معدوم .

* * *

وهكذا يندم أنيس منصور على أنه تابع هذا الفكر الضال أكثر من عشرين عاماً من عمره قضاها فى تحسين هذا الفكر وزخرفته وتقديمه إلى الشباب فى عشرات من الكتب التى طبع منها مئات الألوف لتخدعهم عن الحقيقة والتزيف لهم الواقع ولتردهم عن الفهم الأصيل. عندما كتب مقالاته عن رحلته إلى الأراضى المقدسة، وكان عليه أن يعلن انسحابه من كل هذه المفاهيم والعقائد، وأن يصحح موقفه أمام قرائه خلال هذه السنوات الطويلة. واليوم يصف فلسفة الوجودية بأنها فلسفة المقابر، لأن سارتر تحدث عن الموت والدمار والخراب، والوحدة والقلق والفزع، والخوف والغثيان والعدم، والتقت كل هذه المعانى السوداء فى قلمه وفى خياله. هناك وجودية ملحدة عند سارتر وكامى وهيدجر واسبرز وأونامونو. ووجودية مؤمنة عند جابريل مارسيل، وبرديائف، وجاك مارتيان.

وكان حقاً على أنيس منصور أن يقرأ الفكر الإسلامى الأصيل ويعرف زيف الوجودية جملة بمفهوم الانطلاق من الضوابط والحدود والقيم التى رسمها الدين الحق، وأن يعلم أن نظرية الوجودية كما جاء بها سارتر إنما كانت تمثل تحديا خاصاً مر بالشعب الفرنسى بعد سقوطه فى قبضة ألمانيا إبان الحرب. هذا السقوط الذى كشف كما قال زعيمه « بيتان » عن انهياره الأخلاقى العاصف.

ولما كانت الصهيونية العالمية هى التى صنعت هذا بالثورة الفرنسية فإنها قدمت سارتر على جميع أجهزة الإعلام والدعاية لتفتح صفحة أشد عنفاً من الانهيار الخلقى والاجتماعى. تلك التى صنعتها فلسفة سارتر بظهور جماعات الوجوديين الذين تشكلوا فى الغرف المظلمة والحوارى الضيقة وتحت أسطح العمارات ليمارسوا أسوأ صور الجنس ويعلنوا احتقارهم للمجتمع. ومنهم نشأت بذرة (الهيبية) التى تعم الآن العالم كله.

ولقد كان أخطر ما فى الدعوة الوجودية إنكار الله تبارك وتعالى والسخرية بالأديان واعتبار الإيمان بالله عائقاً كبيراً عن حرية الإنسان وأن أثر التعاليم الربانية على الانسان جد خطير لأنه يضيع عليه فرصة التمتع بالأهواء والتمرغ فى الشهوات. فالوجودى لا يؤمن بوجود الله (تبارك وتعالى) ولا يؤمن بنظام خلقى يسود على الانسانية. الانسان عندهم حر ومسئول أمام نفسه فحسب. لا أمام الله. وهكذا نجد سارتر يدعو إلى الحرية المطلقة من كل قيد !!

ولقد جاء سارتر إلى مصر ترافقه سيمون دى بوفوار، التى قالت لنساء مصر فى صراحة تامة: نحن نريد أن نحطم (قوامة) الرجل ودعت إلى حياة زوجية محررة من «العقد الشرعى» كحياتها هى مع سارتر. ولقد كشفت إحدى المرافقات لسارتر خلال رحلته إلى مصر فى الفترة الأخيرة خفايا كثيرة فى هذه الزيارة اللعينة. فأشارت إلى

أن (رفيق) سارتر وسيمون كان رجلا يهودياً (كلود لانزمان) وهو الذى وجه الزيارة على النحو الذى أرادته الصهيونية . وقد أشارت إلى أن كتاب اليسار استقبلوا سارتر بتقدير بالغ كان موضع دهشته هو أساسا . وذلك مثلا حين كتب أحد الشيوعيين مقالا عنوانه (سارتر ضمير العصر) وكان سارتر يتساءل بعدها (أنا ضمير العصر كله ؟ ! . أنا لست حتى ضمير نفسى) ثم يطلب ضاحكا من لانزمان أن يتحمل عنه بعض هذه الألقاب .

وتقول الكاتبة : « لقد سمع ورأى . ولكنه لم يتأثر قيد أنملة بما سمع ورأى .

« لقد كان استقبالنا لسارتر أشبه بمظاهرة . وكان كلامنا معه أشبه بالصدى فى وادى مهجور . إلا أن الصهيونية كانت أذكى منا وأكثر دقة فى قيادته إلى أهدافها . فقد دست (كلود لانزمان) بفكره الصهيونى المغلف بطبقة مزيفة من الفكر التقدمى للتضليل . دسته على سيمون فى وقت كان فيه سارتر يتأرجح بين وجوديته والشيوعية فاستطاعت سيمون بتأثير من (لانزمان) أن تسوق سارتر إلى أن يخرج عن قاعدته ويسير وراءها منوماً أو كالمنوم . فانبهر بما قدم إليه فترة . قبل أن يعود إلى قواعده سالماً . وقد رأينا كيف كان لانزمان يقف فى الظل وراء سارتر فى كل زياراته ليسمعه صوت (هرتزل) واضحاً مجلجلا وهو يهمس به إليه » .

كان هذا فى مارس ١٩٦٧ وفى نوفمبر من نفس العام اكتملت الصورة . فقد منحت إسرائيل شهادة الدكتوراه الفخرية لسارتر فى سفارة إسرائيل بباريس بحضور عدد من المثقفين الفرنسيين على رأسهم سيمون وفرانسواز جيرو وزيرة الثقافة الفرنسية ، وأذاع التلفزيون الفرنسى كلمة سارتر التى قال فيها :

« إن قبولى لهذه الدرجة العلمية التى أتشرف بها له مدلول سياسى فهذا القبول يعبر عن الصداقة التى أحملها لإسرائيل منذ نشأتها » .

هذا سارتر الذى كتب (المسألة اليهودية) وهو الذى زار إسرائيل وأشاد بها ، وهو الذى شارك فى المظاهرات ، ووقع البيانات المؤيدة لإسرائيل . وقد قبل سارتر الدكتوراه الفخرية من الجامعة العبرية بينما رفض من قبل كل الجوائز التى أهديت له بما فيها جائزة نوبل .

وكان سارتر قد قام بزيارته لإسرائيل قبل حرب ١٩٦٧ ببضعة شهور . وما لبثت نذر الحرب بعد عودته إلى فرنسا أن بدت فى الأفق فى مايو ١٩٦٧ فسارع سارتر ومجموعة من المثقفين الفرنسيين الآخرين إلى إصدار بيان فى تأييد إسرائيل التى سيدمرها العرب . ولكن إسرائيل بدأت بالهجوم ، واحتلت من الأرض ، وقتلت من العرب ، ودمرت . فلم يراجع سارتر نفسه ، ولم يعدل موقفه إلا بعد أن

اشتعل النضال الفلسطيني بعد الهزيمة ، وامتدت نيرانه إلى بعض العواصم الأوربية .

وبعد فلقد سقط فكر سارتر قبل أن يذهب . لأن دعوته هي نوع من هوى النفس . وهي مواجهة لتحد عاشه في عصره . ولكن الزمن يتحول ، والفكرة التي تكون اليوم استجابة لوضع معين .. فإنها سرعان ما تسقط مع تحولات الزمن والبيئات . ولذلك فإن الوجودية لم تستطع أن تكون مذهباً قائماً أو مستمراً . وهكذا كل الأيدلوجيات البشرية التي صنعها الفلاسفة . وظنوا أنهم قد استطاعوا حل مشاكل عصرهم . ذلك أن هناك منهجاً واحداً : هو الذي يستطيع أن يحل مشاكل الإنسان في كل العصور والبيئات . ذلك هو منهج الله الحق (لا إله إلا الله)



لويس عوض

* توفيق الحكيم يرى عزل مصر عن البلاد العربية وتحويلها إلى فندق سياحى عالمى للوافدين العرب تقدم لهم كرم الضيافة من المتعة والراحة

* لويس عوض يحاول تحطيم دور مصر الرائد فى مواجهة الفكر العربى وموقفها التاريخى من الإعصار التترى والحروب الصليبية .

* كراهيتهم للإسلام ثابتة فى الأعماق لا تظهر على السطح ولكن تبدو فى التصرفات وطريقة معالجة القضايا والمشاكل .

* طه حسين يقول فى تمجيد الفرعونية وإعلاء شأنها على الإسلام : إذا كان الإسلام سيقف حجر عثرة فى طريق مصريتنا الفرعونية لنبذناه .

* كان الإسلام وما يزال روح المجتمعات الدولية ومهد الحضارات الإنسانية ووقود الحركات الوطنية والتحررية .

* لا غرو فالاسلام هو الذى صنع الشخصية المصرية منذ أربع عشر قرناً والإسلام اعتنقه المسلمون ديناً واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات .

دارت التساؤلات حول يوميات كتاب الصحف اليومية وما أثاره لويس عوض وتوفيق الحكيم والسيد ياسين من وجوه النظر حول علاقة مصر بالتاريخ الغربي والإسلامي، وبالدولة العثمانية والغرب، ومحاولة تصوير مصر على أنها شخصية فرعونية غارقة في الوثنية أو منحازة إلى الغرب. وتتجاهل هذه الدراسات أن الإسلام هو الذى صنع الشخصية المصرية منذ أربعة عشر قرناً وأن التاريخ وعلماء التاريخ قد أعلنوا بما لا يحتاج إلى مزيد من الإيضاح... سواء منهم الغربيون أو العرب، أنه قد حدث انقطاع حضارى جب كل ما كان قبل دخول مصر فى الإسلام، وأن تاريخاً ضخماً طويلا استمر أكثر من ألف سنة من تاريخ اليونان والرومان فى هذه المنطقة من الشام إلى مصر إلى أفريقيا كل هذا التاريخ بتراثه ولغاته ومفاهيمه وقيمه قد أصبح فى خبر كان بعد دخول الإسلام بقرن واحد فقد اعتنقت المنطقة كلها الإسلام.. اعتنقه المسلمون ديناً واعتنقه غير المسلمين حضارة وثقافة وعادات. وقد أشار كرومر إلى هذا المعنى حين قال: إن المسلمين والمسيحيين يصدرون عن أساس أخلاق واجتماعى واحد مع طول التأثر.

ولكن إخواننا ينسون هذه الحقيقة الواضحة ويناقشون الشخصية المصرية على أنها شخصية منعزلة لم يصنعها القرآن أو الثقافة الإسلامية أو الفكر الإسلامى أو اللغة العربية، وينسون أن المنطقة كلها هجرت لغاتها القديمة بعد قرنين من دخول الإسلام إليها، كذلك

فقد كان الإسلام ولا يزال روح المجتمعات وشارة الحضارة ووقود الحركات الوطنية والتحررية ، ولقد كانت الدعوات إلى الاقليمية والقوميات واحدة الفكرة والمنهج .. ولذلك سرعان ما عجزت عن تحقيق أشواق النفس العربية الإسلامية . وستظل هذه الظاهرة الإسلامية الفكرية والاجتماعية أساساً مكيناً وحصناً حصيناً للشخصية المصرية ما عاشت .. لأنها عميقة الجذور من ناحية ولأنها منصهرة فيها انصهاراً عضوياً يعجز خصوم الإسلام عن القضاء عليه .

إن الدكتور لويس عوض لا يستطيع أن يخرج عن التفسير الفرعوني الوثني الذي سار عليه في كل كتاباته وعرف به ومن ثم فقد أصبح في تقدير الباحثين غير منصف ولا راغب في معرفة الحقيقة الخالصة لوجه الحق وحده .

ولقد جاءت تساؤلات عن محاولات توفيق الحكيم في تحييد مصر عن البلاد العربية وعزلها ، والدعوة إلى جعلها فندقاً عالمياً سياحياً يقدم للوافدين من كل مكان المتعة والترفيه ، وكان في ذلك مشاركاً الدكتور لويس عوض في تحطيم دور مصر العالمي الذي عاشت تقوم به في مواجهة التيارات الغازية والغزوات الطامعة التي واجهت عالم الإسلام ، وكان لها دورها الخطير في رد هذه الغزوات وحماية عالم الإسلام وحماية الغرب نفسه كما حدث في الإعصار التتري وفي الحروب الصليبية وفي الاستعمار الغربي الحديث ، وسوف يكون لها دورها الخطير في دفع الغزوة

ولا ريب أن دعوة توفيق الحكيم تصدر عن مفهوم بعيد أشد البعد عن الانتماء العربي الإسلامي . . . ولقد كان توفيق الحكيم طوال حياته يفخر بذلك مغلياً شأن المصرية في حديثه عن مصر، كارهاً الطابع مصر العربي الإسلامي ... وبالرغم من أن الدكتور طه حسين أعلى من شأن الفرعونية على الإسلام حتى قال قولته المشهورة : « إذا كان الإسلام يقف حجر عثرة أمام مصريتنا وفرعونيتنا لنبذناه » بالرغم من هذا فإن الدكتور طه حسين يرى أن رأى توفيق الحكيم في العرب أشد تحاملا وتعصباً من رأى كثيرين من متعصبة المستشرقين أمثال رينان ودوزى . ولعل التقارب في هذا الرأى بين توفيق الحكيم ولويس عوض يرجع إلى مصادر الثقافة الغربية الواحدة التى تأثر بها كلاهما في فترة كانت البعثات الأجنبية سواء إلى فرنسا أو إلى انجلترا تستهدف سحق مقومات هذه الأمة وإلقائها في أتون الاقليمية فهى كراهية مشتركة للعروبة والإسلام ، وهى ممتدة إلى اللغة العربية وإلى القرآن وهى مبثوثة في الأعماق لا تظهر على السطح ولكنها تبدو في التصرف وفى تناول القضايا .

وبالرغم من أن توفيق الحكيم قد لخص تفسير القرطبى وظن بعض الذين يأخذون بظواهر الأمور أنه في الطريق للتعرف إلى الإسلام، إلا أنه لم يلبث أن كشف عن تلك المحاولة المسمومة التى ترددها

طائفة معروفة الآن باسم طائفة الخادعين المسلمين بالحديث عن الشريعة الإسلامية وذلك حين ردد ما كان يقوله منذ سنوات عن تطوير الشريعة الإسلامية وهى دعوة يحمل لواءها من وقت بعيد : محمد النويهى وعبدالحميد متولى ومحمد أحمد خلف الله وآخرون بهدف تذليل الشريعة لتبرير أوضاع المجتمعات الحديثة وفى مقدمتها الربا وعلاقات المرأة والرجل خارج نطاق الزواج ، واحتواء الشريعة الإسلامية ونصوصها فى داخل القانون الوضعى على النحو المسموم الذى دعا إليه عبدالرازق السنهورى منذ سنوات وهى دعوى ممتدة يغذيها النفوذ الأجنبى ليحول بها دون تطبيق المجتمعات الإسلامية للشريعة الإسلامية أو عودتها إلى طريق الأصالة ، ومن أهم هذه المحاولات المسمومة : القول بتغير الأحكام مع تغير الزمان (وهو قول محدود جداً يتصل بالفرعيات ويعتمد فى ذلك على نص الشيخ محمد عبده الذى يعتمد عليه الماركسيون وأعداء الشريعة لا يمثل الإمام المجتهد ولا المتخصص فى هذا الأمر ، وإنما هى اجتهادات كان لها وضعها وظروفها فى وقت كانت الشريعة الاسلامية تضرب بالسياط على أيدى كرومر فى مصر وليوتى فى المغرب وهى لا تمثل اجتهاداً يمكن الأخذ به ، كذلك الخطأ الذى وقع فيه على عبد الرازق حين أراد أن يصف الاسلام بأنه دين روحانى ويلغى نظامه الاجتماعى إلغاء تاماً وتلقف بعض المستشرقين هذه النصوص الزائفة التى لم يعتمد فيها على كتاب أو سنة لضرب الاسلام . كذلك هناك ما يثار من شبهة الثبات والتغيير ومحاولة وضع

العقيدة فى مكان الثبات والشريعة فى مكان المتغير وهذا أيضاً غير صحيح على إطلاقه ، وأن الشريعة الاسلامية إنما جاءت خالصة ثابتة صالحة لكل العصور والبيئات إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد دحض الدكتور عبد المنعم النمر شبهة توفيق الحكيم هذه التى مازال يرددها منذ سنوات حين قال له : كان الحكيم يريد أن يجعل كل ماشرعه الله لتنظيم حياة الانسان خاضعاً للتغيير بتغير المجتمع وراثة ، ومن هنا تهب ريح الخطأ فى التفكير ، بل والخطر أيضاً على شريعة الله إذ معنى ذلك ومؤداه لو قبلناه أن لنا أن نبيح الزنا والخمر والرقص متى قبل المجتمع ذلك ونتحلل من عقوبات السرقة والحرابة والزنا ومن كل شىء حرمه الله ورسوله لو قبل المجتمع ذلك !! وهذا اتجاه خطير يهدم الشريعة ويزلزل كيانها لأنه يجعلها كلها تابعة وخاضعة لهوى الناس وما يتجهون إليه فى حياتهم فى أى مكان وفى أى عصر والله تبارك وتعالى يقول لرسوله : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) .

ونقول أن الجماعة ينتدبون أحدهم فترة بعد فترة ليثير القضية ثم ينظرون ثمة ليعود آخر إلى إثارتها وكل همهم أن يخرج المجتمع الإسلامى العربى والمصرى من شريعة الله إلى قبول الربا والرشوة والتساهل فى أمر العرض واستعراض المرأة لمفاتن جسدها ومراقصة الأجانب . وهكذا . .

الحقيقة أن قضية المرأة تأتى فى المقام الأول من عملية تحطيم المجتمع ، وهى تهدف إلى تدمير الأسرة وتعاون على ذلك قوى كثيرة منها القصة والمسرحية والأغنية والصورة العارية وبعض كتاب اليوميات الذين يزينون التيارات التى تهدم المجتمع ممثلة فى بعض الروايات الجنسية والسكرة والرقص .

وتجرى الصحف لاهثة وراء تفاهات يسمونها نصراً للمرأة سواء فى مجال الرقص أو الغناء أو قيادة السيارات وكلها أمور لا أهمية لها تستهدف إخراج المرأة من مكانها الحق ووضعها الصحيح . وتلك مجموعة أخرى من الكتاب لها صلاتها بالروتارى والليونز ومخططات الهدم والتدمير .

* * *

سجلت صفحات الدكتور لويس عوض أحقاداً وسموماً بالغة الخطر عميقة الأثر :

(أولا) من أخطرها حملته على اللغة العربية الفصحى ودعاواه الكاذبة فى مواجهتها كراهية الإسلام والقرآن ، وقد كان من أخطرها كتابه « مدخل إلى فقه اللغة العربية » التى حاول فيه الادعاء بأن العرب جاءت من القوقاز، وأن اللغة العربية لغة آرية ليس لها أى تميز خاص وقد خاض فى شبهات حول الاعجاز القرآنى وغيره على نحو مضلل .

(ثانياً) موقفه من الشعر العربى وهجومه على الأصالة واحتضانه لشعراء التفعيلة من أمثال : صلاح عبد الصبور وأدونيس والسياب وغيرهم ودعوته إلى تحطيم عامود الشعر وكسر بلاغة اللغة العربية وهى دعوى قديمة ما زال يرددها ويجددها .

(ثالثاً) مواقفه المتعددة من التراث الاسلامى والفكر الاسلامى وهى مواقف ترحى بالشبهة فى سلامة البحث وعلميته ، والالتجاء إلى أفكار المستشرقين ومتابعتهم وكراهية أمة العرب والاسلام ، والتى تكشف عن أحقاد دفينة .

وقد واجهه كثير من المفكرين وكشفوا زيفه . وفى مقدمتهم الأستاذ محمود محمد شاكر فى كتابه « أسمار وأباطيل » .

محتويات الكتاب